مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

المجلد: 7 العدد: 4 السنة: 2023

Vol : 7 Issue : 4 Year : 2023

في هذا العدد:

- توظيف الهدايات القرآنية لمعالجة قضايا الواقع في ضوء تفسير القرآن الكريم للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، — عبد الله عثمان علي المنصوري
- الهدايات القرآنية من خلال الحزب الأول من جزء عم ودورها في بناء الإنسان: دراسة تحليلية، — صالح المقبل، السيد سيد نجم
- منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشباب: مقام الفتوة أنموذجًا، — صلاح الدين عوض محمد إدريس
- شبهات المشركين حول الرسول صلى الله عليه وسلم ودحض القرآن الكريم لها، — شافع ذيبان الحريري
- الأبيات ذوات الحروف التي فيها أكثر من قراءتين في الشاطبية، من سورة البقرة إلى آخر المائدة: جمعا ودراسة، — شعيب إدريس إيمامايل
- كتاب (الإعجاز في تنوع وجوه القراءات القرآنية) للأستاذ الدكتور عبد الكريم صالح: قراءة ونقد، — محمد ايت عمران
- التوجيه الدلالي للقراءات عند الخطيب الشربيني في سورة النساء من خلال تفسيره (السراج المنير): جمعًا ودراسة، — ميسرة الجاروشة ، يوسف العواضي
- حديث «ائْذَنْ لي بالزنا»: رواية ودراية، — عبد الله محمد مشبب الغرازي
- قواعد "أدلة البيان" و"التعارض والترجيح" و"المبيِّن" في رسالة الإمام الشافعي رحمه الله، — محمد عبدالله الساعي
- الضوابط الفقهية لآداب الابتسام في ضوء السنة النبوية: دراسة تحليلية، — منى هلال العمري، عبدالرحمن حسانين
- قراءة وصفيّة للبحوث الفقهيّة في المرابحة المصرفية بين عامي (2017– 2022)، — غزالة بن عاشور، عبد القادر جدي
- أسباب هروب الفتيات وتقييمها في ضوء الفقه الإسلامي: قراءة في الأسباب الأسرية، — صيتة حمد أبوقبا
- نظرية المعرفة والنزعة الحسية عند فويرباخ (1804–1872)، — ولاء خطيب
- منهج دعوة وجهاء القوم والدور الدعوي المنوط بهم، — عبد العزيز بن عبد الله القرني
- القيم الوطنية الثقافية في وثيقة مكة المكرمة، — إقبال بنت محمد باصمد

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية

Al-Madinah International University

International Islamic Sciences Journal
Al-Madinah International University, Malaysia
Vol. 7, Issue. 4, December 2023
eISSN: 2600-7096
Submission date: 04\11\2023
Accepted date: 27\11\2023
Published date: 26\12\2023
Copyright © 2023 Abdullah Othman Ali Al-Mansouri

USING THE QURANIC GUIDANCE TO TREAT THE ISSUES OF THE REALITY IN LIGHT OF THE INTERPRETATION OF THE HOLY QURAN BY IBN UTHAYMEEN (MAY ALLAH HAVE MERCY ON HIM)

Abdullah Othman Ali Al-Mansouri
Professor Of Interpretation And Qur'anic Sciences In The Department Of The Qur'an And Sunnah At The College Of Da'wah And Fundamentals Of Religion, Umm Al-Qura University
Email: abdullah1971m@gmail.com

ABSTRACT

This research aims to show the methodology of using the Quranic guidance in treating the issues of the reality in light of the interpretation of the Holy Quran by Ibn Uthaymeen (May Allah have mercy on him) (died in 1421H). That is through showing the relationship between the interpretation and the reality and reviewing applied models that dealt with six fields. The research problem was that the issue of using the Quranic guidance to deal the issues of the reality according to Ibn Uthaymeen has not been studied previously, although it is important and has plenty of scientific material in his interpretation. So this research was developed to reveal and explain it. The researcher has adopted the inductive, analytical and deductive approach. He reached several findings, the most important, as follows: The interpretation has a relationship with the reality since the revelation of the Holy Quran. This was clear in the reasons for the revelation, Ibn Uthaymeen's awareness of the issues and challenges of the reality , his keenness to clarify the Sharia perspective derived from the Quran and the Sunnah regarding these issues, activating the interpretation guidance and benefits to treat the issues of the reality in various fields including: The field of defending Islam in which the research dealt with (5) issues, the field of advocating to Allah Almighty in which the research dealt with (3) issues, the field of protecting the community from crime and corruption in which the research dealt with (3) issues, the field of replying to some deviant sects in which the research dealt with (7) issues, the field of intellectual invasionin which the research dealt with (2) issues, and the field of the scientific theories in which the research dealt with (2) issues. The researcher recommended doing a comprehensive study regarding the doctrinal use of the guidance among scholars of Daw'a in the Holy Land, and comparing the approaches of contemporary interpreters in using the Quranic guidance and applying it to the reality.

Keywords: Using, Quanic Guidance, Reality, Interpretation of the Quran, Ibn Uthaymeen

مجلة العلوم الإسلامية الدولية
جامعة الميدنة العالمية، ماليزيا
المجلد 7، العدد 4، ديسمبر 2023
ردمد: 2600-7096
تاريخ التقديم: 2023\11\04 :
تاريخ القبول :2023\11\27
تاريخ النشر :2023\12\26
حقوق النشر © 2023 عبدالله عثمان علي المنصوري

توظيف الهدايات القرآنية لمعالجة قضايا الواقع في ضوء تفسير القرآن الكريم للعلامة ابن عثيمين رحمه الله

عبدالله عثمان علي المنصوري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى

الملخص

هدف هذا البحث إلى بيان منهجية توظيف الهدايات القرآنية في معالجة قضايا الواقع في ضوء تفسير القرآن الكريم للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، (ت: 1421هـ)، من خلال بيان العلاقة بين التفسير والواقع، واستعراض نماذج تطبيقية تناولت ستة مجالات، وتلخصت مشكلة البحث في كون قضية توظيف الهدايات القرآنية لمعالجة قضايا الواقع عند العلامة ابن عثيمين لم تدرس سابقًا بالرغم من أهميتها، وكثرة مادتها العلمية في تفسيره، فتصدى هذا البحث لكشفها وبيانها، وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، وخرج بعدد من النتائج، أهمها: للتفسير علاقة بالواقع منذ نزول القرآن الكريم، وقد تجلى ذلك في أسباب النزول، ووعي العلامة ابن عثيمين رحمه الله بقضايا الواقع وتحدياته، وحرصه على توضيح المنظور الشرعي المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ في معالجة تلك القضايا، وتفعيله الهدايات والفوائد التفسيرية لمعالجة قضايا الواقع في مجالاته المتنوعة؛ ومنها؛ مجال الدفاع عن الإسلام، تناول البحث (5) قضايا، مجال الدعوة إلى الله تعالى، تناول البحث (3) قضايا، مجال حماية المجتمع من الجريمة والفساد، تناول البحث (3) قضايا، مجال الرد على بعض الطوائف المنحرفة، تناول البحث (7) قضايا، مجال الغزو الفكري، تناول البحث قضيتين، مجال النظريات العلمية، تناول البحث قضيتين. وقد أوصى الباحث بعمل دراسة شاملة عن التوظيف العقدي للهدايات عند علماء الدعوة في البلد الحرام، ومقارنة مناهج المفسرين المعاصرين في توظيف الهدايات القرآنية وتنزيلها على الواقع.
الكلمات المفتاحية: توظيف، الهدايات القرآنية، الواقع، تفسير القرآن، ابن عثيمين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، أما بعد: فإن القرآن الكريم هو كتاب الهدايات ومنبعها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: 9]، والمتدبر آيات الذكر الحكيم يجد كمًّا هائلًا من الهدايات التي تبنى عليها نظم الحياة والأخلاق الرفيعة، والقيم الإنسانية. وما أحوج الأمة اليوم للرجوع إلى تلك الهدايات وتنزيلها لمعالجة قضايا الواقع المعيش بكل تجلياته وإفرازاته، ويرتبط هذا التنزيل بمدى وعينا وإيماننا بوظيفة القرآن الكريم من حيث حضوره في واقعنا المعيش، والتعامل مع تلك الهدايات التي تقدم الحلول والمعالجات الوافية لأفعال المكلفين الذين يتوجه إليهم خطاب الشارع.

ولا يتحقق فقه توظيف هدايات النصوص إلا بمدى فهمنا للشريعة الإسلامية، وبتحقيق مناط نوازل زماننا ومشكلاته دون تعسف أو ارتجال. وفهم الواقعي لوظيفة هدايات القرآن الكريم يعطي الجانب المعرفي من تفسير كتاب الله تعالى قدرًا وافرًا من إمكانية التطبيق.

وقد كان للشيخ ابن عثيمين قدرات علمية وفقهية عالية الدقة في فهم واقع المسلمين اليوم، ونجده يختم تفسير الآيات ببيان فوائدها وهداياتها، ولا يفتأ – كلما سنحت له الفرصة — أن يصوب الرؤية نحو الواقع محاولًا معالجة اختلالاته بهدي القرآن الكريم، وكشف مرامي أعداء الأمة من خلاله.

ومن هنا يأتي هذا البحث؛ لإبراز الدرر الكامنة في تفسيره، وإظهارها للعيان، لما له مكانة شامخة، وقبول واسع لدى الأمة، وما ذلك إلا لإخلاصه، ولكونه قد كرَّس حياته لخدمة الكتاب والسنة، وتبصير الأمة بأمور دينها؛ تأليفًا وتدريساً وفتوى ومعايشة، وقد جعلت هذا البحث تحت مسمى: (توظيف الهدايات القرآنية لمعالجة قضايا الواقع في ضوء تفسير القرآن الكريم للعلامة ابن عثيمين رحمه الله).

مشكلة البحث:

يعد تفسير القرآن الكريم للعلامة ابن عثيمين – رحمه الله، (ت: 1421هـ) – من التفاسير المعاصرة المهمة التي لها شهرة كبيرة بين الناس، وعلى الرغم من كون الدراسات حول منهج ابن عثيمين رحمه الله من خلال تفسيره كثيرة إلا أن قضية توظيف الهدايات القرآنية لمعالجة قضايا الواقع في هذا التفسير لم تدرس من سابق؛ بالرغم من أهميتها، وكثرة مادتها العلمية في تفسيره، كما أن واقعنا المعاصر يعج بالكثير من الأفكار والقضايا والدعاوى المعاصرة، أو تلك التي أعيدت صياغتها وإظهارها من جديد، فيسعى هذا البحث في الرد على تلك الدعاوى والقضايا انطلاقا من الهدايات القرآنية، التي ضمنها العلامة ابن عثيمين رحمه الله في تفسيره.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من الحيثيات الآتية:

1. إن موضوع توظيف الهدايات والفوائد القرآنية عند العلامة ابن عثيمين في ضوء تفسيره لم يبحث من قبل.

2. إنه يتناول قضايا الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم ويرتبط به.

3. شخصية ابن عثيمين وورعه ومكانته العلمية الكبيرة تعطي قيمة لاجتهاداته وقبولًا لها.

ومن ثم فإن الفائدة المتوخاة منه ستكون حاصلة بعون الله تعالى وتوفيقه؛ كونه يناقش قضايا ملحة كثر طرحها في وقتنا الحالي، واختلفت الناس حولها، ويراد للأمة أن تؤتى من قِبَلها.

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان مفهوم توظيف الهدايات القرآنية في معالجة قضايا الواقع عند ابن عثيمين.

2. توضيح العلاقة بين التفسير والواقع عند ابن عثيمين.

3. استعراض نماذج من توظيف الهدايات القرآنية عند ابن عثيمين رحمه الله في معالجة قضايا الواقع المعاصر.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة هذا البحث أن يتم استعمال أكثر من منهج من مناهج البحث، بحسب القضايا التي سيتم التطرق لها، ومن هنا سيتم الرجوع إلى كل من المنهج الوصفي، والاستقرائي[1]، والتحليلي[2]، والاستنباطي[3].

---

[1] هو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة، وعلاقات كلية. ينظر: المحمودي، محمد سرحان، **مناهج البحث العلمي**، ص73.

[2] هو المنهج الذي يمكّن الباحث من القيام بتحليل الظاهرة التي يتم دراستها، ويقوم بالمقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى التي تتعلق بها، لكي يتم تفسيرها وتحليلها واستنتاج الحلول بشكل مدروس. ينظر: شفيق، محمد، **البحث العلمي؛ الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية**، ص111.

[3] هو المنهج الذي يعنى باستخراج ما خفي من النص بطريق صحيح. ينظر: الوهبي، فهد بن مبارك، **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**، ص44.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي تناولت قضايا الواقع عند المفسرين، ومنها:

1. تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيقي، لعبد الرحمن الضامر، منشورات جائزة دبي للقرآن الكريم، 1428هـ/2007م، وقد خص المؤلف الجانب التطبيقي لتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير عبد الحميد بن باديس.

2. تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم، ليحيى زمزمي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية.

3. ضوابط تنزيل الهدايات القرآنية على الواقع، لفخر الدين المحسي، منشورات عمادة البحث العلمي بجامعة أم القرى، 1441هـ.

وينفرد هذا البحث بخصوصية تميزه عن غيره من الدراسات السابقة التي كتبت حول توظيف آيات التنزيل، من حيث جدته، لكونه يتناول دراسة ذلك عند أحد أعلام المفسرين الذين عايشوا واقع الأمة المعاصر – وهو العلامة ابن عثيمين – فهو من علماء الأمة الغيورين عليها، وهو من القلة القليلة ممن كانوا يتلمسون العلاج الناجع لأدواء الأمة من خلال هدي القرآن الكريم، وجهوده لم تدرس بعد.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للبحث

المطلب الأول: تعريف أهم مصطلحات البحث:

أولًا: تعريف التوظيف في اللغة والاصطلاح:

التوظيف: تفعيل، وهو مصدر وظف يوظف توظيفًا، ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفًا: ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفًا على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل[4].

ووظَّف القوم تبعهم، ووظف الشيء على نفسه، ألزمها إياه[5].

التوظيف عند ابن منظور في كتابه لسان العرب هو إلزام الشيء ووضعه في مكانه "فيقال: وظف فلانا وظفا إذا تبعه مأخوذا من الوظيف، ويقال استوظف استوعب ذلك كله.

"ووظف والقوم: تبعهم. الوظيفة: ما يقدر لك في اليوم من طعام أو رزق ونحوه، والعهد والشرط، جمع: وظائف ووُظف، والتوظيف: تعيين الوظيفة. والمواظفة: الموافقة والمؤازرة والملازمة. واستوظفه: استوعبه[6].

---

[4] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج9، ص358، مادة: (وظف).

[5] إبراهيم مصطفى، وزملاؤه، **المعجم الوسيط**، ج2، ص1094، مادة: (وظف).

[6] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ص860، مادة: (وظف).

فالتوظيف له معنى حســـي ومعنى معنوي، وهذا العرض للمعنى اللغوي يظهر منه أن معاني التوظيف متعددة، وهي الالتزام، والحفظ، والمتابعة والموافقة، والاستيعاب، والمؤازرة، والملازمة.

التوظيف في الاصطلاح:

هو: الفائدة المعنية التي يحققها الشيء[7].

هو: الاستثمار أو الاستخدام[8].

فالتوظيف هو استثمار النص بغية إنشاء قيمة جديدة منه أو فائدة.

والمقصـود بالتوظيف هنا منهجية علمية قائمة على قواعد وضـوابط اتبعها العلامة ابن عثيمين، وأبرز من خلالها استثمار النص القرآني بعباراته وإشاراته وفحواه في معالجة قضايا الواقع، لبيان جوانب خلود النص القرآني، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وقد يوظف لفظة أو جملة أو آية.

ثانيًا: تعريف الهدايات في اللغة والاصطلاح:

الهدايات في اللغة: جمع هداية، من هدى يهدي هديا، وهُدى وهداية، ولها أصـــلان: "الأول: التقدم للإرشـــاد، والآخر: بَعثة لَطَف. فالأول: قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشـــده. وكل متقدم لذلك هاد...وينشعب هذا فيقال: الهدى: خلاف الضلالة. تقول: هديته هُدى. والأصل الآخر: الهدية: ما أهديت من لطف إلى ذي مودة. يقال: أهديت أُهدي إهداء. والمهدَى: الطبق تُهدى عليه"[9].

الهداية في الاصـطلاح: الدلالة على ما يوصـل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سـلوك طريقٍ يوصـل إلى المطلوب[10].

أو هي: الإرشادات المستفادة من الآيات، وفق منهج علمي، بدلالة ظاهرة أو خفية[11].

ثالثًا: تعريف الواقع في اللغة والاصطلاح:

الواقع في اللغة: مأخوذ من وقع، والواو والقاف والعين أصل واحد، يقال: وقع الشيء وقوعاً فهو واقع، والواقعة القيامة، والوقائع: منابع الماء المتفرقة، ومواقع الغيث: مسـاقطه، وموقعة الطائر: موضـعه الذي يقع عليه[12].

---

[7] روبرت، جيلام سكوت، **أسس التصميم**، ص7.

[8] إسكندر، نجيب، **معجم المعاني**، ص102.

[9] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج6، ص42، 43. مادة: (هدى).

[10] الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ص256.

[11] الزبير، فخر الدين، **ضوابط تنزيل الهدايات على الواقع**، ص13.

[12] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج6، ص133، 134، مادة: (وقع).

ووقائع العرب: أيام حروبها[13]. والوقائع: الأَحوال والأحداث مفرده وقعة[14]. ووقَع الكتابُ في مئة صفحة: اشتمل عليها، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[الواقعة:75]. أي: منازلها ومساقطها للغروب[15]، "ووقع بالأمر: أحدثه وأنزله. ووقع القول والحكم إذا وجب. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾ [النمل: 82]" [16].

والواقعة أصلها: الحادثة التي وقعت، أي: حصلت، يقال: وقع أمر، أي: حصل، كما يقال: صدق الخبر مطابقته للواقع، أي: كون المعنى المفهوم منه موافقاً لمسمى ذلك المعنى في الوجود الحاصل أو المتوقع على حسب ذلك المعنى، ومن ذلك حادثة الحرب، يقال: واقعة ذي قار، وواقعة القادسية[17].

ومن خلال ما تقدم نجد أن الواقع في اللغة يستعمل في معانٍ متعددة، والوقائع: هي الأحداث والأحوال، والنوازل الحاصلة في فترة من الزمن.

الواقع في الاصطلاح: كل ما يكون حياة الناس في جميع المجالات بكل مظاهرها وظواهرها وأعراضها وطوارئها[18].

فالواقع هو: الصورة الحقيقية لأحوال ومظاهر ومجالات ومجريات حياة الناس الحاضرة اجتماعيًا، وحضاريًا، وعلميًا، وثقافيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا...الخ.

المقصود بتوظيف الهدايات القرآنية في معالجة قضايا الواقع المعاصر:

مقابلة الأحداث المعاصرة في زمن المفسر وإدخالها فيما يناسبها من الآيات القرآنية[19].

الواقعة في تقويم الواقع المعاصر، من خلال تطبيق الإرشادات والفوائد القرآنية؛ تأييداً وإصلاحاً، وفق منهج علمي[20].

وعليه فيكون التعريف الإجرائي لعنوان هذا البحث: تطبيق ابن عثيمين الهدايات المستفادة من دلالة

---

[13] المرتضى الزبيدي، **تاج العروس**، ج22، ص353، مادة: (وقع).

[14] إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، ج2، ص1051، مادة: (وقع).

[15] ينظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج3، ص2481، 2482، مادة: (وقع).

[16] ابن منظور، **لسان العرب**، ج8، 403، مادة: (وقع).

[17] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج27، ص281.

[18] ينظر: أحمد بوعود، **فقه الواقع ضوابط وأصول**، ص43.

[19] ينظر: يحيى محمد زمزمي، **تنزيلات الآيات على الواقع عند ابن القيم**، ص25.

[20] ينظر: الضامر، **تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين**، ص33، وفخر الدين الزبير، **ضوابط تنزيل الهدايات القرآنية على الواقع**، ص15.

الآيات القرآنية على الأحداث والأحوال والمعاصرة ومعالجة اختلالاتها وتقويمها من منظور القرآن الكريم والسنة.

وهذا التوظيف تساعد على حصوله قوة معايشة جو النص القرآني والواقع معًا، مع صفاء الأسلوب، ووضوحه، وسلامته المدعومة بقوة المعنى، وقوة الإيحاء والمتانة التي تتم على معرفته التامة بأسرار اللغة، وجمال العبارة وسهولتها، مع سلامة الذائقة التي ينتج عنها حسن الاختيار والتوظيف، وحسن تقرير المعنى في الإفهام بأقرب وجوه البيان.

المطلب الثاني ترجمة مختصرة لابن عثيمين رحمه الله:

اسمه، ونسبه، وكنيته ومولده: هو العلامة الفقيه، المفسر، الأصولي، المحدِّث، اللغوي، الورع، الزاهد، محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل، من آل مقبل، من آل ريس، الوهيبي التميمي، وجده الرابع عثمان، أُطلق عليه عثيمين، فاشتهر به، وهو من فخذ وهبة من بني تميم، نزح أجداده إلى عنيزة، ويكني الشيخ ابن عثيمين بأبي عبد الله.

وولد ابن عثيمين رحمه الله في مدينة عنيزة؛ إحدى مدن منطقة القصيم عام 1347هـ، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك[21].

نشأته: نشأ ابن عثيمين رحمه الله في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، وكان حريصًا على التحصيل العلمي والمزاحمة عند ركب العلماء، وقد رزق ذكاءً، وهمةً عالية[22].

طلبه العلم: اتبع ابن عثيمين رحمه الله طريق السلف في تحصيل العلم، فبدأ بحفظ القرآن الكريم وهو طفل صغير، فقرأه على جده لأمه الشيخ: عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ، ثم اتجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب، وقبل الخامسة عشرة من عمره حفظ زاد المستقنع، وألفية ابن مالك، قضى في عنيزة أحد عشر عاماً ملازماً لشيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ الذي كان من أبرز علماء نجد، فقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه والأصول والفرائض والمصطلح والنحو والصرف؛ فكان من أبرز طلابه[23].

شيوخه: تتلمذ الشيخ ابن عثيمين على عدد كبير من الشيوخ، حيث استفاد الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في طلبه للعلم من عدد من المشايخ، بعضهم من مسقط رأسه بعنيزة، وبعضهم في مدينة الرياض، ومنهم: جده لأمه؛ الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الدامغ، والعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي،

---

[21] ينظر: فهد السلمان، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ج6، ص6، عصام المري، **الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين**، ص26.

[22] ينظر: وليد الحسين، **نبذة عن حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ص19.

[23] ينظر: عصام المري، **الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين**، ص26.

والعلامة محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وغيرهم[24].

مؤلفاته في التفسير: لابن عثيمين مؤلفات كثيرة، في مختلف العلوم، وما يهمنا منها هنا تفسير القرآن الكريم؛ حيث فسر عددًا كثيرًا من السور، ولم يفسر القرآن كله، ومن السور التي فسرها: الفاتحة والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، الأنعام، والكهف، والنور، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس، والصافات، وص، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، ومحمد، ومن سورة الحجرات إلى الحديد، وبعض من جزء تبارك، وجزء عم.

وفاته: توفي ابن عثيمين رحمه الله في جدة عصر الأربعاء الخامس عشر من الشهر العاشر من عام 1421هـ، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، وصُلي عليه في المسجد الحرام يوم الخميس عصراً، ثم دفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة[25].

المطلب الثاني: العلاقة بين التفسير والواقع عند ابن عثيمين:

بين الشيخ ابن عثيمين جوانب كثيرة من علاقة التفسير بالواقع، ويمكن عرض أهم ملامحه فيما يأتي:

1 – دلالة ألفاظ القرآن الكريم لا يمكن أن تتعارض مع الواقع أو تخالفه، قال ابن عثيمين، "الواجب على المؤمن أن يأخذ بظاهر القرآن والسنة، فإن هذا الواجب في الأمور الغيبية، وفي الأمور التي لا يمكن إدراكها حسًا، ثم إذا تبين له بعد ذلك بالحس أن ظاهر القرآن غير مراد، فإننا يجب علينا أن نؤول ظاهر القرآن؛ لأنه لا يمكن أن يتعارض القرآن مع الواقع، فمستحيل هذا، ولو أننا جوزنا ذلك عقلا للزم أن يكون في القرآن ما هو كذب؛ لأن الكذب هو خلاف الواقع، وهذا أمر مستحيل...يحتاج الإنسان طالب العلم إلى أن يتعمق ويتأمل وينظر نظرا عميقا جدا في نصوص الكتاب والسنة، حتى لا يحكم بأن الواقع يخالفها، فيكون في ذلك رد فعل لمن لا يؤمن بالإسلام..."[26].

وقال: "لا يمكن أن يوجد في القرآن شيء صريح يخالف الواقع، ولا في السنة شيء صحيح صريح يخالف الواقع، فإن وُجد ما ظاهره مخالفة الواقع فاعلم أنه إما أن يكون مخالفة، ولكن المخالفة من وهْمك، بمعنى أن يكون الواقع غير مخالف لظاهر القرآن، أو يكون ما ظننته صريحًا من القرآن غير صريح، فمثلًا"[27].

2 – رد وجوه التفسير إذا خالفت الواقع، قال ابن عثيمين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ

---

[24] ينظر: وليد الحسين، **الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله**، ص48.

[25] ينظر: فهد السلمان، **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ج6، ص6.

[26] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة لقمان**، ص63، 64.

[27] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات**، ص358.

فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[آل عمران: 55]، "فإن قال قائل: أفلا يمكن أن يراد بالذين اتبعوه أي: الذين انتسبوا إليه، وتكون لهم الغلبة على الكافرين لا على المسلمين، يعني مثلًا أن النصارى يغلبون اليهود والوثنيين وما أشبه ذلك، ويخرج من هذا المسلمون. ويكون الله تعالى قد وعد عيسى بأن يكون من انتسب إليه فوق الذين كفروا به. الجواب: لا يمكن هذا، ليس بعيدًا متعذرًا؛ لأن هؤلاء لم يتبعوا عيسى...فالآية وإن كان قد يتراءى لبعض الناس أن يقول: إن النصارى يغلبون غيرهم من الكفار لهذه الآية، فإنا نقول: لا؛ لأن الله يقول: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ والنصارى الآن لم يتبعوه، ثم إن الآية لو فسرت بهذا التفسير لكان الواقع يخالفه، فالأمة الصليبية لم تظهر على الأمة الشيوعية بل هي خائفة منها فأين الفوقية؟ ليست هناك فوقية الآن، كل دول أوروبا الغربية بأسطولها وحلفها الأطلسي عجزت أن تكون فوق الشيوعية"[28].

3 – ترك التعميم عند معالجة قضايا الواقع، قال ابن عثيمين عن قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[الحديد: 16]: "ولم يعمم، وهذا هو الواجب على من تحدث عن قوم أن يبين الواقع؛ لأن بعض الناس إذا رأى من قوم زيغًا في بعضهم عمَّم الحكم على الجميع، والواجب العدل إن كان الأكثر هم الفاسقون، فقل: أكثرهم، وإن كان كثير منهم فاسقين فعبر بالكثير على حسب ما تقتضيه الحال، لأن الواجب أن يقوم الإنسان بالعدل ولو على نفسه أو والديه والأقربين"[29].

فعلى المفسر أن يلتزم العدل والإنصاف في معالجة قضايا الواقع، ولا يتسرع في إصدار الأحكام.

4 – إبقاء القرآن على عمومه أو إطلاقه ما لم يرد دليل على تخصيصه أو تقييده: قال رحمه الله: "فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾[آل عمران: 173]، هذا عامّ، ولكن إذا طبقنا هذا الكلام على الواقع وجدنا أن المرادَ بـ(الناس) الخاصَّ. ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ القائل واحد: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ أيضًا ليس كل الناس قد جمعوا لرسول الله ﷺ، الذين لم تبلغهم الدعوة لم يجمعوا له، فيكون تفسيرنا الناس بخاصٍّ في هذه الآية، تفسيراً دلّ عليه الواقع، أما إذا لم يكن دليل فإن الواجب إبقاء القرآن على عمومه إنْ كان من العامّ، وعلى إطلاقه إنْ كان من المطلق"[30].

5 – لا يخبر الله تعالى بأمر ويكون الواقع خلافه: قال ابن عثيمين عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[فاطر: 13]: "وفي إسناد الجريان إلى كل منهما دليل على أنهما يسيران بذاتهما، ويدوران على الأرض، وهذا شيء مشاهد أن الشمس تدور

---

[28] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج1، ص324.

[29] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الحجرات – الحديد**، ص390: 391.

[30] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة**، ص30.

على الأرض وكذلك القمر، وما ادعاه علماء الهيئة من أن الأرض هي التي تدور، والشـــمس لا تدور نحو الأرض فإننا نكذبه حتى يقوم لنا دليل حســـي يكون لنا حجة أمام الله عز وجل في الخروج عن ظاهر كلامه. فالواجب علينا نحو هذه الأمور ألا نخرج عن ظاهر كلام الله؛ لأن الله تعالى هو الخالق، والخالق أعلم بما خلق من غيره، وهذا مســـلم، ولأن كلام الله عز وجل أوضـــح الكلام وأبينه، فلا يمكن أن يكون فيه شـــيء من التعقيد لا اللفظي ولا المعنوي، فهو واضـــح في معناه وظاهر؛ ولأن كلام الله عز وجل أصـــدق الكلام، فلا يمكن أن يخبرنا الله عز وجل بأمر لم يكن، أو بأمر يكون الواقع على خلافه"[31].

6 – الواقع يشـــهد بأن القرآن كلام الله كما يشـــهد لمعانيه، قال ابن عثيمين عند تفســـير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[سبأ: 43]: "ما يشـتمل عليه الوحي، أو القرآن بالذات، من الأخبار الصـادقة، التي ليس فيها ما يخالف الواقع بوجه من الوجوه، سـواء كانت تلك الأخبار ماضـية أو حاضـرة أو مستقبلة، هذه وجوه كونه من آيات الله تعالى"[32].

وقال: "وإذا تتبعت الواقع وجدته شاهدًا لقول الله تعالى هذا، وأن أعداء المسلمين لا يمكن أبدا أن يسعوا في إعزاز المسلمين، بل يسعون بكل جهدهم إلى إذلال المؤمنين وخذلانهم، لكنهم يمكرون، ويخادعون، ويسخرون، ويستهزئون؛ لينالوا مآربهم، ويضربوا الناس بعضهم ببعض"[33].

وقال رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾[فاطر: 39]: "فكفر الإنسان على نفسه وليس يضـــر غيره شـــيئًا... ولأن الواقع شـــاهد بذلك؛ فنوح وهود وغيرهما من الرســـل أنجاهم الله مع أنه أخذ أقوامهم بالعقوبة"[34].

وقال عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾[غافر: 78]: "الفائدة الثالثة: الإشـارة إلى أنه لا رسـول بعد محمد، لقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾، ولم يقل: (سنرسل). وهذه الفائدة في الواقع ليسـت بتلك القوية، يعني: مأخوذة من الآية، لولا الواقع ما أخذناه من الآية، لأن الله إنما يتحدث عن شيء مضى"[35].

---

[31] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة فاطر**، ص115، 116.

[32] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة سبأ**، ص267.

[33] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة فاطر**، ص82.

[34] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة فاطر**، ص272.

[35] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة غافر**، ص528.

وقال رحمه الله مبينًا فوائد قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[المائدة: 64]: "محبة اليهود للفساد في الأرض وسعيهم في ذلك سعيًا حثيثًا... ومن شاهد الواقع الآن عرف أن الآية منطبقة تمامًا على يهود الوقت الحاضر، أنهم يسعون في الأرض فسادًا بكل ما يستطيعون، إن استطاعوا بأنفسهم أو بعبيدهم الذين هم عبيد لهم، ولهذا نقول: اليهود الآن: عابد ومعبود، اليهود حقيقةً هم عبيد ومُعبّدون؛ لأنهم يُسَـخِّرون الدول الكبرى أن تفعل ما فيه مصلحتهم، وهم أيضًا أذناب للدول الكبرى؛ لأن الدول الكبرى آمنة منهم وتريد أن تبقيهم في مكان ما من أجل أن يفسدوا في الأرض، فهم يسعون في الأرض فسادًا في كل وقت، نسأل الله تعالى أن يكبتهم وأن يخيبهم"[36].

7 – يعمل بالواقع إذا صدقه القرآن، قال ابن عثيمين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[الرحمن: 33]، "فالآية واضحة أنها في مقام التحدي، وأنها لا تشير إلى ما زعم هؤلاء أنها تشير إليه، ونحن نقول الشيء الواقع لا نكذبه، ولكن لا يلزم من تصديقه أن يكون القرآن دل عليه أو السنة، الواقع واقع، فهم خرجوا من أقطار الأرض، وهذا واقع لا يحتاج إلى دليل، وهذه الآية في سياقها إذا تأملتها وجدت أن هذا التحدي يوم القيامة"[37].

8 – الواقع قد يبين بعض معاني المبهم، قال ابن عثيمين عن تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران: 100]: "(فريقًا)، الفريق مبهم، فإذا قلت: إنهم هؤلاء، قلنا لك: بل هؤلاء، بل أولئك، فما هو الميزان إذن؟ لنا على هذا جوابان: الجواب الأول: أن الله ذكر في آيات أخرى أن جميع الكفَّار يودُّون منا أن نكفر، وهو شامل لأهل الكتاب وغيرهم: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾[النساء: 89]، ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[الممتحنة: 2]. ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[البقرة: 109]. إذن هناك آيات تدل على أن جميع الكفار، ومن ضمنهم أهل الكتاب يودُّون منا ذلك. الجواب الثاني: أن نقول هذا الفريق المبهم، يُبيّنه الواقع، وهو أن من أهل الكتاب من آمن، ومن آمن لا يمكن أن يُحب من غيره أن يكفر، وحينئذ نقول: المراد بالفريق هنا من لم يؤمن منهم، فكل من لم يؤمن فهو داخلٌ هذا الفريق"[38].

9 – الجمع بين فقه الواقع وفقه النص: قال ابن عثيمين في مقدمة تفسير سورة غافر مقدمًا نصائح لطلبة العلم: "كثير من المشايخ يهتمون بالعلم ويهملون فقه الواقع، وكثير من الطلاب ينكرون إنكارًا شديدًا على

---

[36] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج2، ص135.

[37] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الحجرات – الحديد**، ص316.

[38] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج1، ص577.

من اهتم بالواقع ويقولون: العلم قال الله قال الرسول. فالجواب: الناس في كل أمورهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: طرفان ووسط، طرف مفرط، وطرف مفرط، ووسط. من الناس من يشتغل بما يسمونه فقه الواقع ومن الناس من يحاول الجمع بين هذا وهذا، ونحن إذا سبرنا سيرة النبي ﷺ وجدنا أنه عليه الصلاة والسلام يفهم الواقع، ويفهم الناس، ويفهم الخير من الشرير، لكنه ﷺ يهتم بالأمر الثاني، الذي هو الفقه في الدين، ولهذا قال: (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)[39] لم يقل: يفقهه في الواقع، فقه الواقع وسيلة للتطبيق فقط، فلا بد لطالب العلم من هذا ومن هذا، لا تجنح إلى طرف الفقه في الواقع، ولا تغل في الفقه في الدين، فتعرض عن كل شيء، فالإنسان يجب أن يكون وسطا"[40].

10 – الأمر الواقع الذي لا يدل عليه اللفظ لا يجوز حمل دلالة الآية عليه، قال ابن عثيمين، "والمهم أن تفسير قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[النمل: 88]، يراد به ما في الدنيا، تفسير باطل لا يجوز الاعتماد عليه، ولا المعول عليه، أما كون الأرض تدور أو لا تدور، فهذا يعلم من دليل آخر، إما بحسب الواقع، وإما بالقرآن، وإما بالسنة، ولا يجوز أبداً أن نحمل القرآن معاني لا يدل عليها من أجل أن نؤيد نظرية أو أمراً واقعاً، لكنه لا يدل عليه اللفظ؛ لأن هذا أمر خطير جدًا"[41].

11 – الاكتشافات العلمية قد تساعد على بيان وجه آية مشكلة: قال: "لو قال قائل: أحيانًا على ضوء مكتشف علمي لا بأس من إعطاء معنى معين؛ لأنه أحيانا في غياب هذا الواقع العلمي قد يشكل معنى آية، وأذكر أنا تفسير آية في سورة النور: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾[النور: 40]، فأكثر المفسرين قالوا: بما أنه لا يوجد موجان فوق بعضهما، فالفوق هنا يحمل على معنى من فوقه موج، وهذا تأويل لا تحتمله كثيرا اللغة العربية.

وقد قرأت بحثا من مدة حوالي خمس سنوات لعالم في أمريكا، أصله مصري وأخذ جنسية أمريكية، مشهور في أبحاث الفضاء، نزل في غواصة من أجل اكتشاف أعماق المحيطات، فقال: إن الرأي الغالب كان عند العلماء قبل هذه التجربة أن باطن المحيطات والبحار ساكن تماما، قال: وإذا بنا نفاجأ أن في قاع المحيطات أمواجا، والأمواج التي على السطح لا تذكر أمام تلك الأمواج من شدتها وعظمتها، فالآن كلمة فوقه لم يعد هناك مبرر لتأويلها، وإنما فوق أي هناك موج في الأسفل يعلوه موج في الأعلى، فوجود الظاهرة الكونية العلمية يساعد على توجيه المعنى في اتجاه معين بدون تعسف في المعنى، فحتى الأمواج الظاهرية التي على سطح البحر يكون الموج قليل

---

[39] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا، رقم (71)، ج1، ص25، والقشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (1037)، ج2، ص718.

[40] ابن عثيمين، "**تفسير القرآن الكريم: سورة غافر**، ص15، 16.

[41] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الحجرات – الحديد**، ص180.

الارتفاع ثم يأتي موج أكبر منه[42].

12 – الجمع بين دلالة الآية والواقع إن تعارضا ظاهريًا، قال ابن عثيمين: "الله سبحانه أخبر بأنه لا يهدي القوم الفاسقين، أي: الخارجين عن طاعته، وخبر الله صدق، لكن يشكل على هذا أن الواقع أن الله قد يهدي الفاسقين وقد يهدي الكافرين، فكيف نجمع بين الواقع وهذا الخبر الصادق؟ الجمع أن نقول إن قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[المائدة: 108] أي: الذين كتب الله عليهم الفسق، وأما من كتب عليه أن يؤمن فيؤمن ولا بد، ولكن الفائدة من هذا أي من إطلاق قوله: ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ الإشارة إلى أن عدم هداية الله للقوم الفاسقين؛ لأنهم اختاروا الفسق، كما قال الله"[43].

وقال ابن عثيمين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]: "لو قال قائل: ما الجمع بين هذه الآية والواقع؛ لأننا نرى أن الظالم قد يفلح؟ قلنا: الجمع بينها وبين الواقع، أن يقال الفلاح نوعان: فلاح مطلق، وهذا لا يمكن للظالم أبدًا، ودليل هذا قول النبي ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[44]، وتلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[هود: 102]، فلا بد أن يعثر الظالم، ولا بد أن يخسر، طالت الدنيا أم قصرت فمن كان ظالما بمبدأ من المبادئ فلا بد أن ينخذل هذا المبدأ حتى بعد موته، وإذا كان خاصًا فإنه، وإن لم يحصل له ذلك في الدنيا حسب ما نرى فهو في الآخرة، وربما يكون في قلب الظالم أشياء لا ندري عنها يبتلى بها من ضيق الصدر وكراهة الحق وما أشبه ذلك. أما الفلاح المقيد بمعنى أن يفلح في زمن معين، أو مكان معين، أو قضية معينة فهذا يمكن أن يقع، ولا يخالف الآية؛ لأن الله تعالى قد يعطي الظالم فلاحًا حتى يغتر بهذا الفلاح فيتمادى في طغيانه، ثم يقصم الله ظهره"[45].

13 – اللفظ القرآني الذي لم يرد فيه قول للسلف فإنه يفسر حسب الوقت: عند حديث ابن عثيمين رحمه الله عن تفسير القرآن بالسنة تساءل عن مدلول كلمة القوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾[الأنفال: 60]، فقال: "ما هي القوة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾؟ ننظر في القرآن لا نجد تفسيرًا لها، لكن نجد تفسيرها في السنة، قال النبي

---

[42] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الفرقان**، ص221.

[43] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج2، ص491.

[44] البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وكان عرشه على الماء) رقم (4686)، ج6، ص74.

[45] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الأنعام**، ص123، 124.

ﷺ: (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)[46]. إذًا نفسر (القوة) بأنها الرمي، أي: تعلم الرمي، والرمي في كل زمان ومكان بحسبه، وقد كان الناس في السابق يرمون بالنبال وما أشبهها، ثم صاروا يرمون بالبارود، أي: بالبنادق والرصاص، ثم صاروا الآن يرمون بالصواريخ قريبة المدى وبعيدة المدى، والرمي الذي ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام، يشمل أي رمي كان، حسب أساليب الحرب التي في وقته"[47].

وأضاف رحمه الله قاعدة عامة تكشف عن سعة الدلالة القرآنية، فقال: "فلا تظن أن قوله ﷺ: ألا إن القوة الرمي خاص بما كان في عهده، بل هي عامة بما يحدث إلى يوم القيامة. على كل حال: نرجع في تفسير القرآن إلى تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، ولا نعدل عن أقوال الصحابة إلى تفسير المتأخرين أبدًا، خصوصا في العبادات، أما في الأمور التي تحدث ويكون في القرآن إشارة لها فهذه قد لا يرد عن السلف فيها تفسير، ولكن تفسر حسب الوقت، لأن هناك أشياء من الأمور الكونية الفضائية والأرضية لم يتكلم فيها السلف رحمهم الله، ولكن تكلم فيها المتأخرون، فنقول: يرجع إلى قول المتأخرين في هذا، لأن السلف لم يكونوا يعرفون ذلك"[48].

وقال ابن عثيمين عند بيان قوله تعالى: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء: 129، 130]: "وقول المفسر رحمه الله: مصانع للماء تحت الأرض، قد ينازع فيها أيضًا، بأن يقال: إن المراد بالمصانع مكان الصناعة، يعني أنهم أيضا اتخذوا مصانع كثيرة، كما تدل عليه صيغة منتهى الجموع مفاعل، ثم إنها قوية؛ لقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾؛ لأنه لا أحد يبني شيئا للبقاء الكثير إلا ويحكمه ويتقنه. فيكون هود عليه الصلاة والسلام أنبههم في أمرين؛ الأمر الأول: اتخاذ الآيات – الأبنية القوية العظيمة – عبثا وإظهارا للقوة والفخر. الأمر الثاني: هذه المصانع العظيمة التي اتخذوها لأجل أن يخلدوا ويبقوا فيصنعوا فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[الفجر: 6 – 8]، وهذه العماد العظيمة التي لم يخلق مثلها في البلاد لا بد أن تكون ناتجة عن مصانع قوية لتولد هذه المواد ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾. ثم قال: من جبروتهم أيضا العدواني ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾؛ لأن الأول جبروت معماري، والثاني مصنعي، والثالث الجبروت العدواني. وقس هذه الأشياء على وقتنا الحاضر، فتجدها منطبقة تماما، فهناك من يتخذون من هذه القوة آية للفخر والعبث، ثم هذه المصانع أيضا التي يتخذونها – مصانع القنابل الذرية والنووية وغيرها – لأجل أن يخلدوا؛ حتى لا يتسلط عليهم أحد، وحتى تكون لديهم السيطرة في هذه المصانع"[49].

---

[46] القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم (1917)، ج3، ص1522.

[47] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ص384، 385.

[48] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الزخرف**، ص21.

[49] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الشعراء**، ص224.

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾[الكهف: 56]: "ويستفاد من الآية أن كل إنسان يجادل من أجل أن يدحض الحق فإن له نصيباً من هذه الآية، يعني أن فيه نصيباً من الكفر والعياذ بالله لأن الكافرين هم الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، فإذا قال قائل: الشبهات التي يوردها من يوردها من الناس، كيف يقال إنها باطل وهي شبهة؟ فالجواب: إذا كان غرضهم منها أن يُدحضوا الحق، مثل الذين ينكرون حقيقة استواء الله على العرش ويقولون: إنه لو استوى على العرش لكان جسماً، فهؤلاء جادلوا بالباطل من أجل أن يدحضوا الحق الذي أثبته الله لنفسه"[50].

المبحث الثاني: نماذج من توظيف الهدايات القرآنية عند ابن عثيمين رحمه الله في معالجة قضايا الواقع المعاصر

لا يمكن الإحاطة في هذا البحث القصير بكل جهود ابن عثيمين في تنزيل هدايات القرآن الكريم على الواقع المعاصر، وتوظيفها في معالجة تشوهاته واختلالاته، قال ابن عثيمين رحمه الله: "المعاني عامة في كل زمان"[51]. وسيكتفي الباحث ببعض النماذج في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نماذج من توظيف الهدايات في الدفاع عن الإسلام:

1 – بيان التقدم حقيقة إنما يكون بالإسلام، يحلو لكثير من المفتونين بالحضارة الغربية وتقدمها المادي أن يصفوها بأنها حضارة متقدمة، وينطلقون من ذلك إلى النعي على الإسلام، ويصفونه بكونه رجعية ويعارض التقدم، وقد بين ابن عثيمين رحمه الله حقيقة التقدم والرجعية عند ذكر فوائد قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: 143]، فقال: "ومنها: أن التقدم حقيقة إنما يكون بالإسلام، وأن الرجعية حقيقة إنما تكون بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾؛ فإن هذا حقيقة الرجوع على غير هدًى؛ لأن الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه؛ فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله رجعيون، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة؛ لأن الله سمى مخالفة الرسول ﷺ انقلابًا على العقب؛ ولا أبلغ من هذا الرجوع أن الإنسان يرجع على عقبيه رجوعاً أعمى – والعياذ بالله – لا يدري ما وراءه"[52].

وأردف رحمه الله عند بيان هدايات قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ

---

[50] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف**، ص99، 100.

[51] ابن عثيمين، **الشرح الصوتي لزاد المستقنع**، ج2، ص3791.

[52] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الفاتحة والبقرة**، ج2، ص119.

عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[المائدة: ٢١]، "الفائدة السابعة: أن الكفر ردة عن الاستقامة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ ﴾ فالمرتد متأخر، وليس متقدمًا، إذا قلنا هذا صار الإيمان تقدمًا، ولذلك نقول لأولئك القوم الذين يريدون من الأمة الإسلامية أن ترجع إلى الوراء وهو عندهم تقدم، نقول: أخطأتم، وذلك لأنهم يرون أن رجوع الناس إلى زمن السلف الصالح تأخر، ونحن نقول لهم: مخالفة طريق السلف الصالح هو التأخر؛ لأنه يسمى في القرآن ردة أو ارتداد على الدبر، لكن موافقة السلف الصالح هي التقدم حقيقة، ولكنه يحتاج إلى عزيمة وقوة وتطبيق"[53].

وقال رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50]: "حكم الله وإن تراءى لبعض الناس أنه ليس بصالح أو أنه يعيق التقدم الاقتصادي أو الاجتماعي أو غير ذلك فإنه يكون خاطئًا؛ لأن العبرة بالنهاية، قد يتراءى للإنسان أن هذا الحكم لا يصلح الآن، لكن في النهاية لا شك أنه هو الصالح، وأن علينا أن نصبر وستكون العاقبة حميدة"[54].

ولا يمكن للدين الذي اختاره الله تعالى وارتضاه للناس أن يكون حجر عثرةٍ في طريق الناس، وعائقًا دون تقدم البشرية، بل التقدم الحقيقي هو الالتزام بحقائق هذا الدين التي تضمن تحقيق السعادة في الدينا والآخرة معًا.

2 – بيان أن الشريعة الإسلامية وافية بكل ما يحتاج الإنسان إليه، قال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد آية الدَّيْن: "ومنها: بيان أن الدين الإسلامي كما يعتني بالعبادات – التي هي معاملة الخالق – فإنه يعتني بالمعاملات الدائرة بين المخلوقين. ومنها: دحر أولئك الذين يقولون: إن الإسلام ما هو إلا أعمال خاصة بعبادة الله عز وجل، وبالأحوال الشخصية، كالمواريث، وما أشبهها؛ وأما المعاملات فيجب أن تكون خاضعة للعصر، والحال؛ وعلى هذا فينسلخون من أحكام الإسلام فيما يتعلق بالبيوع، والإجارات وغيرها، إلى الأحكام الوضعية المبنية على الظلم، والجهل...وأما الأحكام الحلال والحرام فهذا مرجعه إلى الشرع؛ وقد وفى بكل ما يحتاج الإنسان إليه"[55].

3 – تحريم رد المسائل المتنازَع فيها إلى القوانين الوضعية، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: 59]: "تحريم رد المسائل المتنازع فيها إلى القوانين الوضعية، أو

---

[53] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج1، ص271.

[54] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج1، ص489.

[55] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: البقرة والفاتحة**، ج3، ص410، 411.

تحكيم أهل الكفر والإلحاد، لقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ "[56].

4 – بيان أن كتاب الله وسنة رسوله خيرٌ من النظم الوضعية في الحاضر والمستقبل، وقد أشار إلى ذلك عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء: 59]، فقال: "الرجوع إلى الكتاب والسنة خير في الحاضر والمستقبل، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي: في الحاضر، ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبة في المستقبل"، واستطرد قائلا: "بطلان توهم من حكَّم القوانين الوضعية، وظن أن الأمة تصلح بها، فإننا نقول: هذه القوانين الوضعية ما كان صالحًا موافقًا للكتاب والسنة فصلاحه وإصلاحه ليس بذاته، ولكن لموافقته للكتاب والسنة، ولا يصح أيضًا أن نجعل هذا الحكم من القانون الوضعي، بل هذا الحكم هو حكم الكتاب والسنة، فكوننا إذا وجدنا أشياء مصلحة من القوانين منسوبة إلى وضع البشر فهذا يعتبر سرقة من الشرع، ومن الحكم الإلهي؛ لأن كل شيء يصلح للخلق فمبناه على كتاب الله وسنة رسوله. وليُعلم أن آيات الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: آيات شرعية وآيات كونية، فالآيات الشرعية ما جاءت به الرسل من شرائع الله؛ لأنك لو تأملت هذه الأحكام سواء في الأمة الإسلامية، أو في الأمم السابقة لوجدتها مطابقة تماماً للحكمة والمصلحة، وأنه لو اجتمع كل أهل الأرض على أن يأتوا بمثل ذلك ما أتوا، قال الله عز وجل: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[المائدة: 50]، فلا تظن أن أي نظام، أو قانون يُصلِح من الخلق ما تصلحه الشريعة الإسلامية"[57].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "ضل أولئك القوم الذين ذهبوا إلى تحكيم القوانين الوضعية التي وضعها بشر، فهذا البشر الذي وضعها معرض للخطأ بلا شك. كما أنه غير محيط بجميع مصالح الخلق في جميع أقطار الدنيا، ولا بمصالحهم! لأن في جميع الأزمان المقبلة؛ لأن الأمور تتغير، إذاً فلا يجوز الاعتماد على هذه القوانين، ويجب أن تؤخذ القوانين من كتاب الله وسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لأن الله تعالى أعلم بالخلق حالاً ومستقبلاً، ولأنه أرحم بالخلق، ولأنه أحكم الحاكمين"[58].

فكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام خير للإنسان في حاضره ومستقبله، وفي دينه ودنياه وآخرته، أما القوانين الوضعية فهي صناعة بشرية يعتورها القصور والجهل والخطأ؛ الذي هو من طبيعة الإنسان وجبلته، ومهما شرعوا فلن يفوا في تشريعاتهم بحاجات البشرية مهما كان تقدمهم المادي حاصلًا.

---

[56] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج1، ص456.

[57] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج1، ص458.

[58] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الأنعام**، ص242.

5 – الرد على دعوى أن الإسلام دين المساواة، فقد بين الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن دعوى المساواة لم ترد لا في كتاب ولا سنة، وأنها دعوى أدخلها أعداء الإسلام على المسلمين، قال عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة: ٢٢٢]: "ومنها: الرد على الذين قالوا: إن دين الإسلام دين مساواة؛ لأن التفضيل ينافي المساواة؛ والعجيب أنه لم يأت في الكتاب، ولا في السنة لفظة المساواة مثبتاً؛ ولا أن الله أمر بها؛ ولا رغب فيها؛ لأنك إذا قلت بالمساواة استوى الفاسق، والعدل؛ والكافر، والمؤمن؛ والذكر، والأنثى؛ وهذا هو الذي يريده أعداء الإسلام من المسلمين؛ لكن جاء دين الإسلام بكلمة هي خير من كلمة المساواة؛ وليس فيها احتمال أبداً، وهي «العدل»، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ [النحل: 90]؛ وكلمة العدل تعني: أن يسوى بين المتماثلين، ويفرق بين المفترقين؛ لأن العدل إعطاء كل شيء ما يستحقه؛ والحاصل: أن كلمة المساواة أدخلها أعداء الإسلام على المسلمين؛ وأكثر المسلمين – ولا سيما ذوو الثقافة العامة – ليس عندهم تحقيق، ولا تدقيق في الأمور، ولا تمييز بين العبارات؛ ولهذا تجد الواحد يظن هذه الكلمة كلمة نور تحمل على الرؤوس: الإسلام دين مساواة! ونقول: لو قلتم: الإسلام دين العدل، لكان أولى، وأشد مطابقة لواقع الإسلام"[59].

وبين ابن عثيمين رحمه الله مقتضى القول بالمساواة وإلزاماته وأن الشغف بإطلاقه لدى كثير من الناس العصرانيين له مآرب أخرى، فقال: "هذه العبارة دخل فيها من قال: إنه يسوي بين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل، وبين كل إنسان وآخر، مع الاختلاف في الصفات، وتميز كل واحد عن الآخر بصفاته. وهذا لا شك أنه خطأ، ولا يأتي الإسلام به. الإسلام يأتي بالعدل؛ أن تعطي كل ذي حق حقَّه"[60].

وبين ابن عثيمين رحمه الله أن إطلاق المساواة تعبير عصري وارد من الخارج، وهو يحمل خلفيات فكرية كثيرة، فقال: "التعبير بالعدل دون المساواة، والغريب أن كثيرًا من الناس العصريين تجدهم شغوفين في التعبير بالمساواة دون العدل، بل قد لا تكاد تجد أحدًا منهم يقول: الدين الإسلامي دين العدل، بل يقول: الدين الإسلام دين المساواة، ولا أدري – والله أعلم – لماذا استخدمت هذه الكلمة المساواة، هل هي واردة علينا من الخارج؟ لأنك إذا قلت: المساواة دون العدل قالت الأنثى: أنا لا بد أن أعامل كما يعامل الرجل، وقال الرجل الساقط الذي لا خير فيه: لا بد أن أعامل كما يعامل الشريف، وهلم جرا، لكن إذا استعملنا العدل فمعناه أن ننزل كل إنسان منزلته"[61].

---

[59] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج1، ص80.

[60] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج1، ص586.

[61] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج1، ص444، 445.

وبيَّن ابن عثيمين رحمه الله أن القول بالمساواة ينطوي تحته القول بتسوية الذكر والأنثى، وكذلك الاشتراكية، فقال عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ٩٥، ٩٦]: "من فوائد الآيتين الكريمتين: 1 – نفي التساوي بين الناس، والعجب أننا نسمع من يدندن كثيرًا فيقول: إن دين الإسلام دين المساواة، وهذا غلط على دين الإسلام، فدين الإسلام ليس دين المساواة، ولكنه دين العدل، والعدل هو: إعطاء كل أحد ما يستحقه؛ ولذلك تجد أكثر ما في القرآن نفي المساواة، وليس إثباتها؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾[الرعد: 16]، وكقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ٩]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾ [الحديد: ١٠]، وهلم جرا. فالقول بأن الإسلام دين المساواة في الحقيقة قد ينبني عليه مبدأ خطير، وهو: أولًا: تسوية الذكور مع الإناث وأن تفضيل الذكور على الإناث يعتبر مخالفًا لدين الإسلام. ثانيًا: الاشتراكية، بتسوية الناس في الرزق، بحيث نأخذ من مال الغني ونعطيه الفقير؛ لأن الدين دين المساواة، ولو قالوا الدين دين المواساة لكان صحيحًا؛ ولهذا تشرع التعازي في المصائب، وما أشبه ذلك. 2 – حكمة الشريعة حيث لا تساوي بين المفترقين كما أنها لا تفرق بين المتساويين؛ فالشريعة الإسلامية من لدن حكيم خبير، فلا يمكن أن تجد فيها حكمين متناقضين، ولا يمكن أن تجد فيها شيئين متساويين ثم يختلفان في الحكم أبدًا، بل إذا تراءى لك أن هذين الشيئين متساويان"[62].

وقال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: 8]: "تعبير القرآن الكريم بالعدل يدل على بطلان قول من يقول: إن الدين الإسلامي دين المساواة، فهذا على إطلاقه فيه نظَر؛ لأنهم يريدون بهذا أن لا يفرقوا بين الرجل والمرأة، ويريدون بهذا أيضًا أن لا يفرقوا بين المسلم والكافر، ويريدون بهذا أن لا يفرقوا بين البر والفاجر، والله تعالى قد أنكر هذا إنكارًا عظيمًا فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[القلم: 35، 36]...وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ٩].

وإذا تدبرت القرآن وجدت نفي المساواة فيه أكثر من إثباته، وأن الذي في القرآن هو العدل: وهو إعطاء كل ذي حق ما يستحق، ولذلك العبارة السليمة أن نقول: الدين الإسلامي دين العدل، وهو الذي أمر الله به في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: 90]، نعم إذا اتفق الناس في الحقوق صح أن نقول: إنه دين المساواة، إذا اجتمعوا في سبب

[62] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج2، ص103، 104.

الحكم وغاياته حينئذٍ نقول: هو دين المساواة، يعني إذا سرق الشريف وسرق الوضيع، هنا نقول: لا بأس ألَّا يفرق بين الشريف والوضيع وأنه يسوي بينهما؛ لأن التسوية هنا عدل. وعلى هذا فنقول: إذا كانت المساواة هي العدل فنعم، أما المساواة التي يرمي إليها هؤلاء فهذا ليس بصحيح، فالدين يفرق تمامًا، في كل موطن تكون الحكمة فيه هي التفريق، لهذا يجب على طالب العلم إذا رأي بعض كتب المحْدَثِين المعاصرين يقولون: الدين الإسلامي دين المساواة، يقول: قف، من قال هذا؟ هاتِ آية في إثبات التسوية، وأنا آتي لك بآيات كثيرة في نفي التسوية، لكن بدلًا من أن تقول هذا هاتِ الكلمة الحبيبة التي ترد على القلب ورود الماء البارد على كبد العطشان وهي العدل"[63].

وقال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾[غافر: 58]: "من الناس من يطنطن ويقول: إن الدين الإسلامي دين المساواة، وهذا خطأ، الدين الإسلامي دين العدل، وليس دين المساواة، الذين يقولون: إنه دين المساواة يريدون أن يتحولوا من هذا إلى التسوية بين الرجل والمرأة، وبين الشريف والوضيع، وهذا خطأ، فإن الله تعالى جعل لكل إنسان ما يليق به شرعًا وقدرًا؛ ولهذا لم يأت حرف واحد في القرآن فيه أن الناس سواء أبدًا، أكثر ما يوجد في القرآن نفي الاستواء أي: نفي المساواة، لكن العدل جاء في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[النحل: 90]، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[النساء: 58]، ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: 8]، إلى غير ذلك من الآيات. وذلك؛ لأن العدل يعني: أن ننزل كل إنسان منزلته فإذا استوى إنسانان في منزلة سويناهما في الحكم، أو ساوينا بينهما في الحكم، وإذا اختلفا فرقنا بينهما. والعجب أن كثيرًا من كتب المتأخرين يقولون بذلك، وهذا أمر قد يدعو أيضًا إلى التسوية بين المسلم والكافر؛ لأن كلًا منهما إنسانٌ بشرٌ، لكن إذا قلنا: العدل صار الكافر لا يمكن أن يلحق بالمسلم؛ لأن ذلك جور وظلم في حق المسلم، وغلو وإفراط في حق الكافر"[64].

وقال ابن عثيمين رحمه الله تفسير عند قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ﴾[الحديد: ١٠]: "دين الإسلام دين العدل في العمل والجزاء، وانتبه دين العدل في العمل والجزاء وليس كما يقول المحدَثون: إنه دين المساواة، هذا غلط عظيم، لكن يتوصل به أهل الآراء والأفكار الفاسدة إلى مقاصد ذميمة، حتى يقول: المرأة والرجل، والمؤمن والكافر سواء، ولا فرق، وسبحان الله إنك لن تجد في القرآن كلمة المساواة بين الناس، بل لا بد من فرق، بل أكثر ما في القرآن نفي المساواة: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وآيات كثيرة، فاحذر أن تتابع فتكون كالذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً"[65].

---

[63] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة** المائدة، ج1، ص148، 149.

[64] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة غافر**، ص409.

[65] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الحجرات – الحديد**، ص381، 382.

وهذه المساواة المزعومة وراءها ما وراءها من أهداف خفية ومعلنة يسعى إليها مروجوها ومدعوها، ومنها: جعل الرجل والمرأة سواء، والمؤمن والكافر سواء.

المطلب الثاني: نماذج من توظيف الهدايات في مجال الدعوة إلى الله تعالى،

1 – التحذير من التنفير من الدعاة: قال ابن عثيمين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴾[الصافات: 15]، "ومن فوائد الآيات: أن المعادين للرسل يصفون ما جاءوا به بالصفات القبيحة تنفيرًا للناس منهم، يؤخذ من قوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴾، وهم في ذلك كاذبون يعلمون أنه ليس بسحر، لكن قالوا هذا تنفيرًا للناس عن طريق الرسل. وهل ورثت هذه المقالة؟ الجواب: نعم، ورثت هذه المقالة، من أول من جاء من الرسل إلى عصرنا هذا وإلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾[الذاريات: 52] كل أعداء الرسل يقولون: هذا ساحر أو مجنون. هذه الكلمة وأريد جنس هذه الكلمة لا نوعها ورثت، فصار أهل الباطل الآن يلقبون أهل الحق بألقاب السوء...أعداء أهل الحق يقولون هؤلاء رجعيون، هؤلاء متحجرون، هؤلاء متشددون، هؤلاء متزمتون، هؤلاء متنطعون إلى غير ذلك من الألقاب، لكن أهل الحق الذين هم أهله لا يزدادون بهذه الألقاب إلا قوة وثباتًا على ما هم عليه"[66].

2 – التحذير من وصف المتمسكين بالإسلام بالرجعية، قال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: 133]: "الرد على الملحدين الذين يقولون: إن الإسلام رجعية ورجوع إلى الوراء، فإننا نقول لهم: أنتم الرجعيون، أنتم الذين انقلبتم على أعقابكم، أما من تمسك بالإسلام فإنه التقدمي؛ لأن الإسلام يحث على التقدم لكل فضيلة وأن يسارعوا إلى المغفرة ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[البقرة: 148]، ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[الحديد: 21]، والآيات كلها تدل على أن الإسلام يأمر بالتقدم لكن ليس التقدم إلى الكفر الذي قال الله عن زعيمه: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ ﴾[هود: 98]، ولكن التقدم إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. المهم أن هذه الآية فيها ردّ على الملحدين الذين زعموا أن التمسك بالإسلام رجعية، فنقول لهم: إن التمسك بالإسلام هو التقدم، والتخلف عن الإسلام هو الرجعية"[67].

3 – كشف الأساليب الدعائية لأعداء الدعوة، قال ابن عثيمين رحمه الله: "الأساليب الدعائية التي يستعملها المشركون من قديم الزمان، حيث قالوا لهؤلاء المؤمنين، أو لهؤلاء القائلين: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ ﴾. قالوا لهم:

---

[66] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات**، ص45.

[67] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**"، ج2، ص244.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: 47]، وهذا الوصف المشين للمؤمنين من الكافرين هذا لم يزل ولا يزال موجودًا إلى يومنا هذا، فهم يصفون أهل الخير بالأوصاف العديدة المنفرة منهم، أو التي يقصدون بها استعداء الحكام على هؤلاء المؤمنين، يقولون: هؤلاء رجعيون، وهؤلاء متخلفون، هؤلاء متشددون، هؤلاء متزمتون، وما أشبه ذلك من الكلمات التي يصفون بها أولياء الله عز وجل... والمهم أن ألقاب السوء التي يلقب بها أعداء الله أولياء الله لم تزل موجودة ولا تزال موجودة إلى يومنا هذا، حتى أهل البدع يلقبون أهل السنة بألقاب السوء يقولون: هؤلاء مشبهة...وهؤلاء حشوية، هؤلاء نوابت، وما أشبه ذلك من الكلمات التي تستوجب النفور منهم، والنيل من قدرهم"[68].

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾[المطففين: 29 – 32]: "كل ما وصفت به الرسل يوصف بمثله أتباعهم، ألم تعلموا أن المجرمين إذا رأوا المؤمنين يقولون: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ يصفونهم بالضلال، وفي عصرنا يصفونهم بالرجعية والتأخر وما أشبه ذلك من الكلمات التي ينفرون الناس بها عن الحق، وأهل البدع يصفون أهل السنة والجماعة بألقاب السوء يقولون: إنهم نوابت، غثاء، حشوية، مجسمة، مشبهة، وما أشبه ذلك، كل هذا من أجل التنفير عمّا هم عليه، ولكن الحمد لله أن الأمر يكون ثوابًا لهؤلاء الذين يوصفون بهذه العيوب، وامتحانًا لهم بالصبر على ما هم عليه من الحق، ثم العاقبة تكون لهم"[69].

وقال رحمه الله: "سبحان الله! هذه الآيات تنطبق تماما على وقتنا كما انطبقت على ما قبل، وهي قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾، وهذا هو الواقع، فتجد هؤلاء الفسقة والمجرمين إذا مر بهم المؤمن التقي جعلوا يضحكون ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ ﴾، أي: إذا مر المؤمنون بالمجرمين أو المجرمون بالمؤمنين كلاهما ﴿يَتَغَامَزُونَ ﴾، يغمز بعضهم بعضًا، فانظر إلى هذا المسكين، وانظر إلى ثيابهم مثلا! ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴾، يعني: يرجعون إلى أهلهم فكهين، أي: مرحين متفكهين بما قالوا في هؤلاء المؤمنين"[70].

وهذه الدعوات للتنفير من الدعاة هدفها تشويههم ووصفهم بأبشع الصفات، والصد عن الدين وتعاليمه النبيلة والسمحة؛ التي تقيم المجتمع على أساس من الطهر والعفاف، وتحميه من الانحلال الذي تروج له النظريات الغربية في علم النفس والاجتماع وغيرها.

---

[68] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة يس**، ص172، 173.

[69] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة يس**، ص245.

[70] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الزمر**، ص345، 346.

المطلب الثالث: نماذج من توظيف الهدايات في حماية المجتمع من الجريمة والفساد:

1 – التحذير من ترويج المخدرات: وهي مما انتشر في العصر الحاضر، وذلك يستدعي النظر الشرعي في نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها لبيان حكم مروجها أو متعاطيها، ولابن عثيمين جهود مشكورة في ذلك إفتاءً وتدريسًا وتأليفًا، فقال رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[المائدة: 32]: "الفساد في الأرض مبيح لقتل النفس، لقوله: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾، ومن ذلك: قطع الطريق. يعني: هؤلاء الذين يعرضون للناس بالسلاح في الطرقات، فيغصبونهم المال، وربما يقتلونهم، هؤلاء مفسدون في الأرض، وكذلك من المفسدين في الأرض في وقتنا الحاضر: هؤلاء الذين يأتون بالمخدرات ويجلبونها إلى البلاد الإسلامية، هم مفسدون في الأرض لا شك، فإن قالوا: نحن لم نجبر الناس على أن يشتروا، قلنا: لكن وضعتم الأمر أمامهم، فأنتم مروجون وجالبون ولن يندفع شَرُّكُم إلا بالقتل، فكل إنسان لا يندفع شره إلا بالقتل من هؤلاء المفسدين فإنه يقتل". ثم استطرد مقيّدًا ما ذكره في الحكم السابق قائلاً: "الفساد في الأرض مبيح لقتل النفس، ولكنه مقيَّد بالأدلة الأخرى الدالة على أنه ليس كل فساد يبيح قتل النفس، بل منه ما يحرم القتل، ومنه ما يبيح دونه، فتحمل هذه الآية على النصوص الدالة على التخصيص"[71]. وهذا يدل جودة فهمه وورعه رحمه الله.

2 – الرد على الذين يرون أن في تطبيق الحدود وحشية، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة: 38]: "من فوائد الآية الكريمة: الرد على كل ناعقٍ يقول: إن قطْع الأيدي وحشيَّةٌ، وإن ذلك يستلزم أن يكون نصف الشعب أشلَّ ليس له إلا يدٌ واحدةٌ؛ مأخوذ من قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فيقال: بل هذه عين الحكمة وعين الصواب؛ لأنه لو تُرِك الناس لحصلت الفوضى وابتزاز الأموال والسطو على الآمنين، فكان قطع اليد لا شك أنه هو الحكمة، وانظر إلى الشعوب التي تطبق هذه الحدود الشرعية كيف تقِلُّ فيها الجريمة، وعلى العكس الشعوب التي لا تطبقها، وهذا كقول القائل: إن قتل القاتل يعني كثرة إزهاق النفوس. وهذا أيضًا مصادم تمامًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[البقرة: 179]، فالقصاص هو الحياة في الواقع، لنا فيه حياة؛ لأن من هَمَّ بالقتل ثم ذكر أنه سيُقتل امتنع وكفَّ عن القتل، ثم ليُعلم أن المقتول ظلمًا لا بد أن يُقتل قاتله؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾[الإسراء: 33]، سلطانًا شرعيًّا بأن له القصاص، وسلطانًا قَدَريًّا بأن الله تعالى يُمكِّن من العثور على هذا القاتل حتى يُقتَل، وهذا شيءٌ مشاهَد؛ دائمًا يَقتُل القاتل ويهرب، وإذا به يأتي بقَدَر الله عز

[71] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج1، ص315.

وجل، وهذا داخلٌ في قوله: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[الإسراء: 33] أي: قدريًّا وشرعيًّا، وكأنَّ الأمر حاصلٌ ولا بد، ولهذا قال: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[الإسراء: 33] كأنه قال: لا بد أن يَقتُل – أي: وليُّ المقتول ظلمًا – ولكن لا يسرف في القتل؛ وذلك لأن وليَّ المقتول ظلمًا قد تأخذه الحميَّة والغضب فيسرف في القتل، فنهى الله عن ذلك وجعل الأمر قِصاصًا"[72].

وهذا فيه دلالة على فقه ابن عثيمين لواقع عصره، ومحاولة الرد على مناوئي الإسلام الذين يتهمونه بالقسوة والشدة.

3 – التحذير من فتنة التبرج، قال رحمه الله: "كل داع إلى ضلال ففيه شبه من اليهود، والنصارى؛ دعاة السفور الآن يقولون: اتركوا المرأة تتحرر؛ اتركوها تبتهج في الحياة؛ لا تقيدوها بالغطاءِ، وتركِ التبرج، ونحو ذلك؛ أعطوها الحرية؛ وهكذا كل داع إلى ضلالة سوف يطلي هذه الضلالة بما يغر البليد فهو شبيه باليهود، والنصارى"[73]، وقال عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور: 60]: "ما نبه عليه كثير من أهل العلم بأنه حتى على القول بجواز كشف الوجه واليدين، إذا كان ذلك ذريعة للفتنة والتوسع، كان حرامًا؛ فمتى خيف الفتنة بكشف الوجه واليدين بناء على القول به فإنه لا يجوز ذلك، وعليه فيكون هذا القول لا محل له في عصرنا؛ لأنه لا يمكن ضبط النساء أبدا، لا يمكن ضبطهن لأن الفتنة قائمة، وكونه ذريعة إلى التوسع قائم، ولهذا تجد المجتمعات التي أخذت بهذا القول أصبحت لا تستطيع أن تتخلص مما وقعت فيه من التبرج السافر الذي لا يمت إليه هذا القول بأي صلة، فلم تقتصر المسألة على الوجه والكفين، بل تدرجت إلى الرأس والرقبة والنحر والذراع بل والعضد أحيانا والساق والقدم، كل هذا بأسباب أن النساء الآن، بل والمجتمعات الإسلامية مع الأسف لا يمكن أن تنضبط بالحدود الشرعية؛ لأنها مدبرة عن الدين؛ إلا ما شاء الله.

وعلى هذا فنقول: القول الذي يطنطن به بعض الناس المحبين للسفور لا محل له في هذا العصر؛ لأن من شرطه ألا تتبرج بزينة وألا يخاف منه الفتنة، وهذا موجود محقق؛ فالفتنة موجودة والتبرج موجود، ولهذا القواعد اللاتي رخص الله تعالى لهن في وضع الثياب اشترط الله تعالى هذا الشرط؛ فقال: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ﴾، ونجد كثيرا من نساء هؤلاء الناس تتبرج بزينة ولا شك فتحمر الخدين والشفتين وتكحل العينين وتزجج الحواجب، كل هذا مما يدل على أن الموضوع أصبح الآن ليس ذا محل في هذا الوقت"[74].

---

[72] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج1، ص369.

[73] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج2، ص85.

[74] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النور**، ص401، 402.

فالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق لا تنفك عن بعضها، وأما أعداؤه فيسعون لنشر الفوضى الفكرية والفتنة، والفساد الأخلاقي، واستهداف القلاع الحصينة التي تحمي المجتمع، وعلى رأسها الأسرة المسلمة.

المطلب الرابع: نماذج من توظيف الهدايات في الرد على بعض الطوائف المنحرفة:

1 – الرد على طائفة القرآنيين: إن جذوة العداء للسنة الشريفة وعدم الاعتداد بها في التشريع قديم، وكانت تخبو جذوة هذا العداء حينًا وتستعر أحيانًا أخرى، وقد شاع في عصرنا الحاضر القول بالرجوع للقرآن فقط، في أخذ الحكم الشرعي واطِّراح ما عداه، وسمي القائلون بذلك القرآنيون، وقد انبرى علماء الأمة للرد على هذه الطائفة في كل عصر، ومنهم ابن عثيمين رحمه الله، فقد قال عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ**﴾[النور: 56]: "الفائدة الثالثة: أن الذي ثبت في السنة كالذي ثبت في القرآن؛ لقوله: وأطيعوا الرسول، وهذا شامل لما قاله النبي عليه الصلاة والسلام ابتداء، ولما قاله تفسيرًا للقرآن؛ فيكون فيه دليل على وجوب العمل بالسنة كما يجب العمل بالقرآن، والأدلة في ذلك كثيرة جدا، ولكن ينبغي التركيز عليها؛ لأنه ظهر في وقتنا من الزنادقة من يقولون: إنه لا يجب العمل بما في السنة، بل وجد من صادروا كتب السنة، صادروا صحيح البخاري ومسلم وحجبوهما عن الأسواق، لأنهم يرون أن السنة لا يجب العمل بها، بل على مقتضى عمله هذا أن السنة ضلال، لأنه لا تصادر الكتب وتحجب عن الناس إلا إذا كانت سببًا لفسادهم وضلالهم"[75].

2 – كشف خطر موجة الإلحاد المعاصرة: على الرغم من التقدم المادي الهائل الذي يعيشه العالم المعاصر اليوم إلا إنه يعاني من مشكلات جمة، في كافة جوانب الحياة، وهذه المشكلات يتولد بعضها عن بعض، ويؤثر بعضها في وجود بعض، ومنها القلق النفسي والاضطراب، وانتشار الجريمة، وانعدام الأخلاق، والظلم بكل صوره، والانحلال، والفساد، ولا يكاد يخلو بلد من بلدان العالم من هذه المشكلات، وأعظم هذه المشكلات وأكبرها أثرًا مشكلة الإلحاد التي تسببت في ظهور الاضطراب والفساد والقلق، والانحراف الفكري، وفيما يأتي تعريف الإلحاد، وموقف الشيخ ابن عثيمين منه باعتباره مظهرًا من مظاهر الانحراف الفكري في جانب التفريط.

ولا يدخر أعداء الإسلام – ومنهم الملاحدة – جهدًا في إثارة الافتراءات وبث الشبهات حول الإسلام وأصول الإيمان، ومنها أمور المعاد والجزاء، وكعادة ابن عثيمين في المنافحة عن الإسلام الإيمان نجده يرد على الملاحدة وشبهاتهم بالردود النقلية والعقلية. ولذلك جوانب كثير، ومن أمثلتها عند ابن عثيمين:

3 – الرد على المفتونين بنظرية التطور نظرية داروين، قال ابن عثيمين رحمه الله: "آدم عليه السلام هو أبو البشر، خلقه الله تعالى خلقًا مستقلًا، وليس متطورًا من جنس آخر أو من نوع آخر قبله كما يقول أهل

---

[75] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النور**، ص371.

الإلحاد. ومن ادعى ذلك فقد كفر بالله؛ لأن الله تعالى أخبر في كتابه في عدة مواضع أن الله خلق آدم من تراب، من صلصال كالفخار، من طين، خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته. فمن زعم غير ذلك فهو كافر مصدق لغير الله مكذب لله – والعياذ بالله – مع العلم بأنه لن يأتي أحد بكلام عن آدم وابتداء خلقه وكيفية خلقه غير مستند في ذلك إلى الوحي فإن قوله غير مقبول، لأنه لم يشاهده، قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: 51]، وقال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾[إبراهيم: 9]"[76].

وعزز القول بعدم تطور الإنسان من قرد عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾[الزمر: 6]، فقال رحمه الله: "أصل البشرية من آدم، وليس كما يقول القرود إن أصلها قرد ثم تطور؛ لقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾، وقد بين الله سبحانه وتعالى كيف خلق هذه النفس في مواضع من القرآن"[77].

4 – بيان فساد القول بأن الطبيعة خلقت السماء، قال ابن عثيمين رحمه الله: "الإلحاد في الآيات الكونية: يكون بواحد من أمور ثلاثة: إما بإضافتها إلى غير الله، وإما باعتقاد مشارك لله فيها، وإما باعتقاد مُعِينٍ لله فيها، كم هذه؟ ثلاثة؛ الأول: نسبتها إلى غير الله، فيقول مثلًا: الذي خلق السماء القوة الطبيعية، هذا إلحاد في الآيات الكونية، أو اعتقاد مُشارك لله فيها، مثل أن يقول: الذي يدبر الكون هو الله والإمام الفلاني كما تقوله بعض الرافضة، الثالث: اعتقاد مُعِينٍ لله فيها؛ يعني كأن الله عجز عن إقامة السماوات والأرض فأعانه آخر، هذا هو الإلحاد في آيات الله الكونية.وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾[سبأ: 22]، كل الثلاثة نفاها: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على سبيل الاستقلال، ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ على سبيل المشاركة، ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ أي: ما لله ﴿مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ أي: مُعين"[78].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "المجادلة في آيات الله الكونية أن ينكر أن يقول: الله هو الخالق. وقد وجد هذا فعلاً، وجد من ينسب ما يحدث للكون إلى الأمور الطبيعية دون أن يكون لها مدبر، وقال: هذه طبيعة تتفاعل

---

[76] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج1، ص203.

[77] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الزمر**، ص61.

[78] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة فصلت**، ص221.

وينتج منها ما يشاهد"[79].

5 – بيان بطلان القول بإن الزلازل كوراث طبيعية، قال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[العنكبوت: 40]: "الفائدة الثانية: إبطال قول الملحدين في الوقت الحاضر: إن هذه الآيات من الكوارث، فتأتي الزلازل التي هي الرجفة ويقولون: هذه مسألة طبيعية، وتأتي الفيضانات العظيمة التي تدمر وكذلك الرياح الشديدة، ويقولون: هذه كوارث طبيعية، لا يعتبرون ولا يرون أنها نوع من العقوبات التي جرت على الأمم السابقة، وهذا من موت القلب – والعياذ بالله–، فيعرض الإنسان عن التأمل والتدبر في هذه الآيات ويضيفها إلى أمور طبيعية، وكأن الطبيعة هي التي تخلق وتفعل دون الله عز وجل"[80].

وقال أيضًا: "وأما التكذيب بآيات الله الكونية، فإما أن ينسبها لغير الله، كما يفعل السببيون الملحدون الذين ينسبون الأشياء لأسبابها المحضة، ويرون أن السبب فاعل بنفسه، أو يقولون: هي من الله ومعه غيره، هذا أيضاً تكذيب بآيات الله الكونية؛ لأنه شرك، أو يقولون: هي لله وحده لكن له مُعِيْنٌ، فهذا أيضاً كفر بالآيات الكونية"[81].

6 – كشف خطر القول بفصل العبادات عن المعاملات، قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف: 26]: "وفيه دليل على وجوب الرجوع إلى حكم الله الشرعي، وأنه ليس لنا أن نُشَرّع في دين الله ما ليس منه، لا في العبادات ولا في المعاملات، وأما من قال: إن لنا أن نُشَرّع في المعاملات ما يناسب الوقت، فهذا قول باطل؛ لأنه على قولهم لنا أن نجوز الربا، ولنا أن نجوز الميسر، وأن نجوز كل ما فيه الكسب ولو كان باطلا، فالشرع صالح في كل زمان ومكان ولن يُصلحَ آخر هذه الأمة إلاّ ما أصلح أولها، الحكم الكوني لا أحد يُشرك الله فيه ولا أحد يدعي هذا، هل يستطيع أحد أن يُنَزِّل الغيث؟! وهل يستطيع أحد أن يُمسك السماوات والأرض أن تزولا؟! ولكن الحكم الشرعي هو محل اختلاف البشر ودعوى بعضهم أن لهم أن يشرعوا للناس ما يرون أنه مناسب"[82].

وقال ابن عثيمين عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ

---

[79] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة غافر**، ص479.

[80] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة العنكبوت**، ص204.

[81] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الأنعام**، ص242.

[82] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف**، ص54، 55.

أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[فصلت: 9]، "الفائدة الأولى: في هذا دليل على وجوب إعلان المؤمن ما عليه الكفار من الكفر بالله؛ لقوله: قل أئنكم لتكفرون، ويتفرع على هذه الفائدة: أنه لا تجوز مداهنة الكفار، وإن كانت المداراة تجوز لكن المداهنة لا تجوز. والفرق بينهما: أن المداهنة سكوت الإنسان عن معصية العاصي، كأنه يقول: لك معصيتك ولي طاعتي، فأنت اعمل وأنا أعمل، فهذه مداهنة ومصانعة لا تجوز؛ قال الله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[القلم: 9]، وممن لا يجوز للمؤمن أن يداهن. أما المداراة فمعناها: أن ينقل الإنسان مما هو عليه من المعصية شيئا فشيئا وهو غير راض بها، بل هو كاره، ولا يرى أنه يجوز إقرارها، بخلاف المداهن. وأما المداهنة في الحقيقة فأشبه ما لها في وقتنا الحاضر ما يسمونه بالمجاملة أو بالعلمنة، فإن العلمانيين يقولون: دع كل إنسان وشأنه، الدولة دولة، والدين دين، فالدولة لا بد أن تتحد، وأما الدين فلكل دينه، فلا تنكر على الكافر ولا على الفاسق، دع كل إنسان يعمل ما شاء!! ... هذه الآية صريحة في أنه يجب أن ننكر على الكافرين كفرهم، وألا نداهنهم"[83].

7 – الرد على دعوى الحرية المطلقة، وهي في الحقيقة رق وعبودية وليست حرية؛ قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[فصلت: 40]: "إذن: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ ﴾ ليست إباحة أن الإنسان يعمل ما شاء كما يدعي هؤلاء أن الحرية أن تعمل ما شئت، عند هؤلاء الكفار أن الإنسان حر في دينه، يدين بما شاء، حر في أخلاقه، يتخلق بما شاء، حر بأعماله يعمل ما شاء، هكذا عندهم، ونحن نقول: لا، الحرية المطلقة هي الرق المطلق؛ لأنك إذا تحررت من قيود الشرع تقيدت بقيود الشر"[84].

فهذه الموجات المتتالية من الحرب على الإسلام لن تتوقف، ولا بد من الوعي بأهداف تلك الدعوات، والغايات التي يسعى إليها مروجوها، تحت مزاعم متهافتة تجافي الواقع والمهمة التي خلق الله لأجلها الخلق.

المطلب الخامس: نماذج من توظيف الهدايات في معالجة القضايا الغزو الفكري:

1 – التنبيه على خطورة الاستعمار الفكري والخلقي: اعترت الأمة كثير من الأدواء والتحديات في العصر الحاضر، ومنها: التحديات الفكرية، التي كانت نتيجة الغزو الفكري، مما استوجب على العلماء التنبيه إلى خطورتها، وبيان مآلاتها، قال ابن عثيمين رحمه الله عند ذكر هدايات قوله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 191]: "ومنها: أن الفتنة بالكفر، والصد عن سبيل الله أعظم من القتل. فيتفرع على هذه الفائدة: أن

---

[83] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة فصلت**، ص58، 59.

[84] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة فصلت**، ص226.

استعمار الأفكار أعظم من استعمار الديار؛ لأن استعمار الأفكار فتنة؛ واستعمار الديار أقصى ما فيها إما القتل، أو سلب الخيرات، أو الاقتصاد، أو ما أشبه ذلك؛ فالفتنة أشد؛ لأنها هي القتل الحقيقي الذي به خسارة الدين والدنيا والآخرة"[85].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "حرص المشركين على ارتداد المؤمنين بكل وسيلة ولو أدى ذلك إلى القتال؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾[البقرة: 217]؛ ولهذا كان الغزو الفكري، والغزو الأخلاقي أعظم من الغزو السلاحي؛ لأن هذا يدخل على الأمة من حيث لا تشعر؛ وأما ذاك فصدام مسلح ينفر الناس منه بالطبيعة؛ فلا يمكنون أحداً أن يقاتلهم؛ أما هذا فسلاح فتاك يفتك بالأمة من حيث لا تشعر؛ فانظر كيف أفسد الغزو الفكري والخلقي على الأمة الإسلامية أمور دينها، ودنياها؛ ومن تأمل التاريخ تبين له حقيقة الحال"[86].

فابن عثيمين رحمه الله في قوله هذا يبين أهمية الأفكار وتأثيرها، وأثرها على الأمة لكون تلك الأفكار سببًا للفتنة في الدين وفساد أمر الدين والدنيا والآخرة، وهذه الفتنة أعظم وأشد أثرًا وخطرًا من الاستعمار العسكري؛ لأنها تستهدف الدين، وحماية الدين تقع في رأس سلم حماية الضروريات الخمس. والكاتبون يسمون الاستعمار الفكري بالغزو الفكري إلا أنه رحمه الله خالفهم في ذلك، وجعل الاستعمار على قسمين: استعمار الأفكار واستعمار الديار، وهو فهم بديع لعل أحدًا لم يشاركه في نحت هذا المصطلح.

وقال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[آل عمران: ٢١٣]، "قوله: ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ فعلينا أن نأخذ الحذر من غزو هؤلاء لنا، سواء كان بالسلاح، أو كان بالفكر، أو كان بالخُلُق، ومعلوم أن أعداء المسلمين يغزون المسلمين بكل سلاح، وينظرون السلاح المناسب للأمة فيغزونها به، فإذا كان من المناسب للأمة أن يغزوها بالسلاح فعلوا وقاتلوا وهاجموا، وإذا كان من غير الممكن فإنهم يغزون بالأفكار فيأتون بأفكار منحرفة إلحادية إذا أمكنهم ذلك، وإذا لم يمكن بأن كانت الأمة على جانب كبير من الوعي والتوحيد والارتباط بالله عز وجل قالوا: إذًا نغزوا بطريق ثالث وهو الخُلُق، فسلطوا عليها كل ما يفسد أخلاقها: من المجلات، والإذاعات وغير ذلك... فأقول: هذا الغزو الآن غزو خُلُقي، وربما يكون فيه غزو فكري، وأنا أسمع أحيانًا إذاعة عالية صافية من أحسن ما يكون من إذاعات العالم التي نسمع، وتبث الدعوة إلى النصرانية، لكن الحمد لله كل شيء تدعو إليه وهو خير نجد أن شريعتنا متضمنة له، وأنه لا حاجة إلى دعوتهم هذه؛ لأن الشريعة الإسلامية والحمد لله قد تضمنت أكثر مما عندهم. فقوله تعالى: ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ يشمل كل ما

---

[85] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج2، ص378.

[86] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج1، ص60.

يكون سلاحًا علينا، ومعلوم أننا نأخذ لكل سلاح ما يناسبه، فالذي يناسب السلاح الخُلُقي أن يُبصَّر الناس، وتبين لهم العاقبة السيئة في دمار الأخلاق"[87].

ووسائل مواجهة الغزو الفكري من وجهة نظر ابن عثيمين تكمن في التوحيد والارتباط بالله تعالى، والوعي، والحيطة والحذر من تلبيسات الأعداء، الذين يضعون السم في الدسم.

2 – التحذير من دعاة التنصير ومصطلحاتهم البراقة، قال ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٢١٣]، "سوء القصد من أهل الكتاب، حيث يبغون أن تكون سبيل الله عوجًا. وهذا الوصف لأهل الكتاب لا يزال منطبقًا عليهم إلى اليوم، فللنصارى دعاة يُنَصِّرون الناس ويسعون بكل جهدهم إلى أن يصدوا عن سبيل الله من آمن؛ لأنهم يريدون أن يسلك الناس السبيل العَوَج، لا يريدون أن يسلكوا السبيل السوي، وما زالوا إلى اليوم، ولهم إذاعات خاصة تدعو الناس إلى النصرانية، والعياذ بالله، النصرانية الباطلة التي يحاربها عيسى عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[المائدة: 116، 117] فهم الآن يَدَّعون أن دين عيسى عليه الصلاة والسلام القولُ بالتثليث، ويقولون: إن الله ثالث ثلاثة، ثم يضحكون على أنفسهم وعلى الناس، ويقولون: إنه ثلاثة في واحد، فهل هذا معقول؟! لكن هذا من ضلال النصارى؛ لأن النصارى ضالون. حتى الأمور العقلية لا يهتدون إليها فكيف ثلاثة في واحد؟! هذا لا يمكن. على كل حال: هم يريدون أن يضلوا الناس منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا. ومن ثَمَّ يجب على المسلمين الحذر منهم، والتشهير بهم، حتى ينفر الناس منهم، وأن يقابلوا دعوتهم الإلحادية الكفرية بدعوة التوحيد والإخلاص. والتوحيد والإخلاص موافقان للفطرة السليمة، لو وجد من يعرضهما عرضًا حقيقيًا شقيًّا. لكن – مع الأسف – أن المسلمين في غفلة، فالمسلمون الذين هم على الحق لا تجد منهم الدعاة الذين يدعون إلى الحق إلا قليلًا في بلادهم، أما أولئك النصارى المنصرون، فإنهم يجوبون مشارق الأرض ومغاربها، ويغرون الناس بالمال، وبحسن الخلق، حتى ينخدع الناس بهم"[88].

ومن تلبيستهم استعمال المصطلحات البراقة حتى لا تنكشف نواياهم الخبيثة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند بيان فوائد قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

---

[87] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج1، ص511، 512.

[88] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران**، ج1، ص568، 569.

لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[البقرة: ٢١٣]، ومنها: أن من يوصف بالتبشير إنما هم الرسل، وأتباعهم؛ وأما ما تسمى به دعاة النصرانية بكونهم مبشرين فهم بذلك كاذبون؛ إلا أن يراد أنهم مبشرون بالعذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[آل عمران: 21]؛ وأحق وصف يوصف به هؤلاء الدعاة أن يوصفوا بالمضللين، أو المنَصِّرين؛ وما نظير ذلك إلا نظير من اغتر بتسمية النصارى بالمسيحيين؛ لأن لازم ذلك أنك أقررت أنهم يتبعون المسيح، كما إذا قلت: فلان تميمي؛ إذاً هو من بني تميم؛ والمسيح ابن مريم يتبرأ من دينهم الذي هم عليه الآن كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ ﴾[المائدة: 116] إلى قوله تعالى: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[المائدة: 117] الآيتين؛ ولأنهم ردوا بشارة عيسى بمحمد ﷺ، وكفروا بها؛ فكيف تصح نسبتهم إليه؟!!. والحاصل أنه ينبغي للمؤمن أن يكون حذرًا يقظًا لا يغتر بخداع المخادعين، فيجعل لهم من الأسماء، والألقاب ما لا يستحقون"[89].

لقد كان ابن عثيمين واعيًا تمام الوعي بما يسعى إليه المضللون والمنصرون وأذنابهم من تمهيد للغزو الفكري الذي يستهدف الأمة في أغلى ما تملكه وهو دينها، ويستهدف مناط التكريم الإلهي للإنسان وهو العقل الذي يميز به بين السليم والسقيم من الآراء والطروحات التي تروج في كافة الأوساط.

المطلب السادس: نماذج من توظيف الهدايات في كشف خطأ النظريات العلمية:

1 – ترك العجلة والتكلف في ربط الاكتشافات العصرية بالقرآن: قال ابن عثيمين رحمه الله: "بعض المعاصرين يحاول أن يربط الاكتشافات العصرية بالقرآن، لكن بعضهم يتجاوز ويفرط في هذا، ويفسر القرآن بما يطابق الحاضر، وهو بعيد عنه، لكن إذا كان المعنى قريبًا فلا بأس، وقد رأيت بعض الناس لما قيل: إنهم وصلوا إلى القمر، صار يدندن على تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾[الرحمن: 33]، وقال: إن هؤلاء نفذوا إلى أقطار السموات، وأن المراد بالسلطان هو العلم، وهذا حرام، فلا يجوز تفسير الآية بهذا المعنى، حرام لا إشكال فيه؛ لأن الآية ظاهرة جدًّا في أن هذا من باب التحدي، وأنهم لن يستطيعوا النفوذ والله يقول: ﴿ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، هل أحد نفذ من أقطار السماوات؟ يعني لو قلنا: نفذوا من أقطار الأرض وتعدوا الجاذبية، لم ينفذوا من أقطار السماوات، والآية واضحة بأنه يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٨ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٠ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١ فَبِأَيِّ

[89] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج1، ص32.

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[الرحمن: 26 -35]، ثم مَنْ قال: إن السلطان هو العلم، في هذه الآية؟ صحيح أن السلطان يأتي بمعنى العلم، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[يونس: 68] لكن في هذه الآية المراد بالسلطان القدرة؛ لأنه قال: ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾، ولا سلطان لكم، فالسلطان يأتي بمعان متعددة، في كل موضع بحسبه. فهؤلاء الذين يفسرون القرآن بما حدث من اكتشافات، بعضهم يفرط في هذا فيتجاوز الحد، ولم يعلم أنه ربما يأتي يوم من الأيام تكون النظرية التي حمل عليها القرآن نظرية خاطئة وحينئذٍ يُخَطَّئ مدلول القرآن"[90].

2- ما ثبت بالواقع فلا حاجة للتكلف في الاستدلال عليه من القرآن الكريم: قال رحمه الله: "بعض الناس من أهل العلم بالطبيعة يحاولون أن يوجدوا لكل حادث دليلا خاصا من القرآن، وهذا لا يجوز؛ لأنه يصرف القرآن عما أراد الله به، ويقتضي أن يتلاعب الناس بالقرآن، ثم إنهم قد يستدلون بالآيات الكريمة على ما رأوا من النظريات، وتأتي بعد ذلك نظريات أخرى تبطلها، فيكون القرآن حينئذ باطلا حسب ما استدل به الأولون، ونحن – ولله الحمد – في غنى عن هذا الأمر، فهذه الأمور والحوادث التي تحدث من صنائع الإنسان أمر لا حاجة إلى إقامة الدليل عليه من القرآن، لأن واقعها يثبتها"[91].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾[فاطر: 13]: "وفي إسناد الجريان إلى كل منهما دليل على أنهما يسيران بذاتهما، ويدوران على الأرض، وهذا شيء مشاهد أن الشمس تدور على الأرض وكذلك القمر، وما ادعاه علماء الهيئة من أن الأرض هي التي تدور، والشمس لا تدور نحو الأرض فإننا نكذبه حتى يقوم لنا دليل حسي يكون لنا حجة أمام الله عز وجل في الخروج عن ظاهر كلامه، وإلا فالواجب علينا نحو هذه الأمور ألا نخرج عن ظاهر كلام الله؛ لأن الله تعالى هو الخالق، والخالق أعلم بما خلق من غيره، وهذا مسلم، ولأن كلام الله عز وجل أوضح الكلام وأبينه، فلا يمكن أن يكون فيه شيء من التعقيد لا اللفظي ولا المعنوي، فهو واضح في معناه وظاهر؛ ولأن كلام الله عز وجل أصدق الكلام، فلا يمكن أن يخبرنا الله عز وجل بأمر لم يكن، أو بأمر يكون الواقع على خلافه؛ ولأن الله عز وجل أحب أحد يكون البيان إليه؛ يعني أنه يحب البيان لعباده أكثر من أي أحد، واقرأ قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ ﴾[النساء: 176]، وما أشبهها من الآيات الدالة على أن الله عز وجل يريد أن يبين لعباده ما يهتدون به، فإذا كان سبحانه وتعالى هو

---

[90] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة المائدة**، ج1، ص393، 394.

[91] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة الفرقان**، ص81، 82.

أحب من تكلم بالبيان، أو هو أحب من يكون البيان إليه أحب، وهو الله عز وجل، فإن الله تعالى لا يمكن أن يقول في كلامه ما ليس فيه بيان لنا.

إذن: فنحن نكذبهم ونقول: كذبتم أن يكون تعاقب الليل والنهار من أجل دوران الأرض، بل تعاقب الليل والنهار من أجل دوران الشمس على الأرض، ولا غرابة بذلك..."، ثم استطرد قائلا: "يجب علينا وجوبا أن نأخذ بظاهر القرآن وأن الشمس هي التي تدور على الأرض وأنه بدورانها يحصل اختلاف الليل والنهار، هذا الواجب، ولا يجوز أن نحيد عن هذا أبدا إلا إذا قام الدليل الحسي على خلاف ذلك؛ فإنه حينئذ يتعين التأويل وصرف الكلام عن ظاهره؛ لأننا نعلم علم اليقين أن القرآن لا يخالف الواقع، أما شيء يقولونه بأوهامهم ويقدرونه، فإننا لا نوافقهم على ذلك، ولا يسع المؤمن أن يحيد عن ظاهر كلام الله لمجرد قولهم أبدا"[92].

فلا يمكن من وجهة نظر ابن عثيمين – وهو في هذا محق كل الحق – أن نجعل النظريات التي لم تصبح حقائق ثابتة حاكمًا على النص، مهما ادعى أصحابها من المنهجية العلمية، ولا يحق للمسلم أن يحيد عن منهج القرآن لمجرد مقولات لم يدل عليها دليل معتبر، ولا مستند لها من نقلٍ ولا عقلٍ.

[92] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة فاطر**، ص115 – 118.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد التطواف – بتوفيق الله تعالى – بين أفياء تفسير ابن عثيمين سجل الباحث عددًا من النتائج والتوصيات فيما يأتي:

أولًا: النتائج:

- للتفسير علاقة بالواقع منذ نزوله تجلى في علم أسباب النزول، وبذلك فلا تعارض بينهما، وكل منهما يخدم الآخر.
- وعي ابن عثيمين بقضايا الواقع المعاصر، وما يعتمل فيه من تحديات.
- حرص ابن عثيمين على توضيح المنظور الشرعي المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
- كمال هذا الدين في كافة جوانبه، ووفاؤه بحاجات البشرية جمعاء.
- تفعيل ابن عثيمين الهدايات والفوائد التفسيرية لمعالجة قضايا الواقع ومجالاته المتنوعة؛ ومنها:

أ – مجال الدفاع عن الإسلام، وقد تناول البحث بالدراسة والتطبيق (5) قضايا، هي:

1 – بيان التقدم حقيقة إنما يكون بالإسلام

2 – بيان أن الشريعة الإسلامية وافية بكل ما يحتاج الإنسان إليه

3 – تحريم رد المسائل المتنازَع فيها إلى القوانين الوضعية

4 – بيان أن كتاب الله وسنة رسوله خيرٌ من النظم الوضعية في الحاضر والمستقبل

5 – الرد على دعوى أن الإسلام دين المساواة

ب – مجال الدعوة إلى الله تعالى، وقد تناول البحث بالدراسة والتطبيق (3) قضايا، هي:

1 – التحذير من التنفير من الدعاة

2 – التحذير من وصف المتمسكين بالإسلام بالرجعية

3 – كشف الأساليب الدعائية لأعداء الدعوة

ج – مجال حماية المجتمع من الجريمة والفساد، وقد تناول البحث بالدراسة والتطبيق (3) قضايا، هي:

1 – التحذير من ترويج المخدرات

2 – الرد على الذين يرون أن في تطبيق الحدود وحشية

3 – التحذير من فتنة التبرج

د – مجال الرد على بعض الطوائف المنحرفة، وقد تناول البحث بالدراسة والتطبيق (7) قضايا، هي:

1 – الرد على طائفة القرآنيين

2 – كشف خطر موجة الإلحاد المعاصرة

3 – الرد على المفتونين بنظرية التطور نظرية داروين

4 – بيان فساد القول بأن الطبيعة خلقت السماء

5 – بيان بطلان القول بإن الزلازل كوراث طبيعية

6 – كشف خطر القول بفصل العبادات عن المعاملات

7 – الرد على دعوى الحرية المطلقة

هـ – مجال الغزو الفكري، وقد تناول البحث بالدراسة والتطبيق قضيتين، هما:

1 – التنبيه على خطورة الاستعمار الفكري والخلقي

2 – التحذير من دعاة التنصير ومصطلحاتهم البراقة

و – مجال النظريات العلمية، وقد تناول البحث بالدراسة والتطبيق قضيتين، هما:

1 – ترك العجلة والتكلف في ربط الاكتشافات العصرية بالقرآن

2 – إن ما ثبت بالواقع فلا حاجة للتكلف في الاستدلال عليه من القرآن الكريم

ثانيًا: التوصيات:

- عمل دراسة شاملة عن التوظيف العقدي للهدايات عند علماء الدعوة في البلد الحرام.
- مقارنة مناهج المفسرين في توظيف الهدايات القرآنية في مجالاتها المتنوعة.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Iskandar, Najīb, Mu‘jam al-ma‘ānī, (Maṭba‘at al-Zamān, Baghdād, 1971m).

[2] al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl al-Ju‘fī, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, taṣwīr Dār Ṭawq al-najāh, Bayrūt, Ṭ1, 1422h).

[3] Bū‘ūd, Aḥmad, fiqh al-wāqi‘ Ḍawābiṭ wa-uṣūl, (Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu’ūn al-Islāmīyah, al-Kuwayt, 1437h).

[4] al-Jurjānī, ‘Alī ibn Muḥammad al-Sharīf, alt‘ryfāt, taḥqīq : Jamā‘at min al-‘ulamā’, (Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1403h).

[5] al-Ḥusayn, Walīd ibn Aḥmad, al-Jāmi‘ li-ḥayāt al-‘allāmah Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn raḥimahu Allāh wa-mā qīla fīhi min al-marāthī, Majallat al-Ḥikmah, Landan, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1422h.

[6] al-Ḥusayn, Walīd ibn Aḥmad, wālzbyry, Abū ‘Abd Allāh, nubdhah ‘an ḥayāt al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn, Majallat al-Ḥikmah, Landan, al-‘adad (2), Fabrāyir, 1994m.

[7] al-Zubayr, Fakhr al-Dīn, Ḍawābiṭ tanzīl alhdāyāt al-Qur’ānīyah ‘alá al-wāqi‘, ‘Imādat al-Baḥth al-‘Ilmī, Jāmi‘at Umm al-Qurá, Ṭ1, 1441h).

[8] Zamzamī, Yaḥyá ibn Muḥammad, tnzylāt al-āyāt ‘alá al-wāqi‘ ‘inda Ibn al-Qayyim, (Majallat al-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al-Qur’ānīyah, ‘adad 4).

[9] Sakkūt, Robert jylām, Usus al-taṣmīm, tarjamat : Muḥammad Maḥmūd Yūsuf, (Dār al-Nahḍah, al-Qāhirah, 1968m).

[10] al-Salmān, Fahd ibn Nāṣir, Majmū‘ Fatāwá wa-rasā’il Faḍīlat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn, (Dār al-waṭan-Dār al-Thurayyā, 1413h).

[11] Shafīq, Muḥammad, al-Baḥth al-‘Ilmī ; al-khaṭawāt al-manhajīyah li-i‘dād al-Buḥūth al-ijtimā‘īyah, (al-Maktabah al-Jāmi‘īyah, Miṣr, 2001M).

[12] al-Ḍāmir, ‘Abd al-‘Azīz ibn ‘Abd al-Raḥmān, tanzīl al-āyāt ‘alá al-wāqi‘ ‘inda al-mufassirīn, Jā’izat Dubayy al-Dawlīyah lil-Qur’ān al-Karīm, Ṭ1, 1428h).

[13] Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, (al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, 1984m).

[14] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, al-sharḥ al-ṣawtī lzād al-mustaqni‘, (btrqym al-shāmilah ālyan, Tārīkh al-Nashr bālshāmlh, 15 Rabī‘ al-Awwal, 1440h).

[15] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : al-Fātiḥah wālbqrh, (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, Ṭ1, 1423h).

[16] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat Āl ‘Umrān, (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, ṭ3, 1435h).

[17] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-An‘ām, (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, Ṭ1, 1433h).

[18] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-ḥujurāt-al-Ḥadīd, (Dār al-Thurayyā, al-Riyāḍ, Ṭ1, 1425h-2004M).

[19] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-Zukhruf, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[20] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-Zumar, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[21] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-shu‘arā’, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[22] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat alṣāfāt, (Dār al-Thurayyā, al-Riyāḍ, Ṭ1, 1424h).

[23] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-‘ankabūt, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ Ibn ‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[24] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-Furqān, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[25] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-Kahf, (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, Ṭ1, 1423h).

[26] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-mā’idah, (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, ṭ2, 1435h).

[27] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-nisā’, (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, Ṭ1, 1430h).

[28] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat al-Nūr, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[29] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat Saba’, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ Ibn ‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[30] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat ghāfr, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ Ibn ‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1437h).

[31] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat ghāfr, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ Ibn ‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1437h).

[32] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat fāṭr, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[33] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat Fuṣṣilat, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ Ibn ‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1437h).

[34] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat Luqmān, (Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah, Ṭ1, 1436h).

[35] Ibn ‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm : Sūrat Yāsīn, (Dār al-Thurayyā, al-Riyāḍ).

[36] ‘Umar, Aḥmad Mukhtār, Mu‘jam al-lughah al-‘Arabīyah al-mu‘āṣirah, bi-musā‘adat farīq ‘amal, (‘Ālam al-Kutub, al-Kuwayt, Ṭ1, H-2008M).

[37] al-Fayrūz Ābādī, Majd al-Dīn Muḥammad ibn Ya‘qūb, al-Qāmūs al-muḥīṭ, taḥqīq : Maktab taḥqīq al-Turāth fī Mu’assasat al-Risālah, (Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-thāminah, 1426h-2005m).

[38] al-Qazwīnī, Aḥmad ibn Fāris, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : ‘Abd al-Salām Hārūn, (Dār al-Fikr, Bayrūt, 1979m).

[39] al-Qushayrī, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj, Ṣaḥīḥ Muslim, taḥqīq : Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, (‘Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, al-Qāhirah, 1955m).

[40] al-Maḥmūdī, Muḥammad Sarḥān ‘Alī Qāsim, Manāhij al-Baḥth al-‘Ilmī, Dār al-Kutub, Ṣan‘ā’, ṭ3, 1441h).

[41] al-Murtaḍá al-Zubaydī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn ‘Abd al-Razzāq al-Ḥusaynī, Tāj al-‘arūs, taḥqīq : majmū‘ah min al-muḥaqqiqīn, (Dār al-Hidāyah, 1969m).

[42] al-Murrī, ‘Iṣām ‘Abd al-Mun‘im, al-Durr al-thamīn fī tarjamat Faqīh al-ummah al-‘allāmah Ibn ‘Uthaymīn, (Dār al-baṣīrah, al-Iskandarīyah, 2003m).

[43] Muṣṭafá, Ibrāhīm, wa-ākharūn, al-Mu‘jam al-Wasīṭ, (Dār al-Da‘wah, 1969m).

[44] Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram al-Miṣrī al-Ifrīqī, Lisān al-‘Arab, (Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ3, 1414h).

[45] al-Wahbī, Fahd ibn Mubārak, Manhaj al-istinbāṭ min al-Qur’ān al-Karīm, (Markaz al-Dirāsāt wa-al-Ma‘lūmāt al-Qur’ānīyah bi-Ma‘had al-Imām al-Shāṭibī, Jiddah, Ṭ1, 1428h).